اليهود وامتصاص الدماء في الأعياد

كان اختفاء بعض الناس من الذين يعيشون بين اليهود مشكلة ليس لها حل لا أحد يعرف سبب هذا الاختفاء ولا كيف تحل هذه المشكلة إلى أن شاء الله تبارك وتعالى بأن يدخل أحد حاخامات اليهود في دين النصرانية والذي بدأ إستنصاره هذا يكشف عن هذا السر الغامض والمشكلة التي لا حل لها بين الناس وكان هذا الحاخام الذي يبلغ من العمر ثمانية وثلاثون عاما وكان يعمل راهبا في أحد معابد اليهود ولكن الله قد أنعم عليه بالنصرانية وندعوا الله أن ينعم عليه وعلى غيره بالدخول في دين الله الإسلام.

وبعد دخول هذا الحاخام النصرانية أخذ يعتكف عن الناس ليكتب كتابا تحت عنوان (انهدام ديانة العبرانية) وقد ذكر هذا الحاخام العديد من الصفحات السود من حياة اليهود وذكر شرائعهم الشيطانية وأحلامهم ونواياهم السوداء.

كما ذكر في هذا الكتاب السر الكبير حول اختفاء العديد من الشباب والرجال والنساء والأطفال.

وذكر أن سبب هذا الاختفاء هو اختطاف اليهود لهم لاستنزاف دماءهم وذلك بهدف استخدام هذه الدماء في إقامة الطقوس الدينية اليهودية وقد ترجم هذا الكتاب إلى العديد من اللغات اليونانية والإيطالية بالإضافة إلى العديد من اللغات الأخرى.[1]

كما أن الأستاذ حبيب أفندي فارس قد قام بإعداد كتاب عن هذا الكتاب تحت عنوان (الذبائح البشرية التلمودية) وهذا الكتاب قد أورد فيه بعض النصوص والعبارات الواردة من الكتاب السابق الذكر ومازال هذا الكتاب.

١- الكنز المرصود ص ٢٠٢

محفوظا بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥٦٨٤ لعام ١٩٦٢م كما ذكر في هذا الكتاب كتاب (الذبائح البشرية التلمودية) العديد من أفعال هؤلاء اليهود الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار بهذه الدماء البشرية خصوصا أن هؤلاء اليهود يعتبرون هذه الذبائح البشرية من الفرائض عليهم. ولكن أي شرع وأي دين يأمر بذلك إلا شريعة هؤلاء الأباليس والشياطين.

فشرع الله ورسالة نبيهم سيدنا موسى عليه السلام براء من كل هذه الافتراءات وقد كشف هذا الحاخام وغيره من حاخامات اليهود أمثال الحاخام (ناوفيطوس) وذكر من هذه الأمور استخدام هذه الدماء في الطقوس الآتية:

١- استخدام هذا الدم في أعمال اليهود السحرية والتعاويذ والرقي.

٢- في علاج أمراض الحاخامات.

٣- في خلط طعام العروسين بهذه الدماء ليلة العرس.

٤- خلط هذا الدم بدم الطفل المختون ودهان حلقة بهذا الخليط ليطر فم هذا الطفل.

٥- دهان أصداغهم وجباههم في ذكري الاحتفال بعيد خراب أورشليم وهو المعروف بعيد البكور عندهم.[١]

٦- دهان البيض المسلوق وأكله ليلة هذا الاحتفال.

٧- خلط هذا الدم وعجن الفطير به ليلة الاحتفال بعيد الفصح.

٨- دهان صدور موتاهم بهذا الدم مع إلقاء بعض الأناشيد الدينية عليهم.

٩- خلط هذا الدم بخبز عيد البوريم.

ويعاقب أي إنسان يهودي عقابا شديدا يصل إلي حد القتل مهما كانت مكانته الدينية إذا أفصح عن هذه الأسرار ولولا معرفة هؤلاء بسوء ما يفعلونه ما ظل هؤلاء اليهود عاكفون علي هذه الشريعة ويخجلون من إفشاء أسرارها.

١- الكنز المرصود ص ٣٠٨

ولولا إسلام هذا الحاخام ما وصل إلينا شيء عن هذه الإسرار اليهودية لأن هؤلاء افظع من الحيوانات المفترسة وهذا الاستنزاف أن دل فإنما يدل علي شدة عداء هؤلاء اليهود للأخوة المسيحيين وكذلك المسلمين.[1]

ومن طقوس اليهود الدينية أن يأخذ الحاخام هذه الدماء ويدهن بها الطفل المولود حديثاً.

١٠- وفي العاشر من شهر تموز يقيم هؤلاء اليهود حفلا حزينا بمناسبة خراب أورشليم وتدمير الهيكل ومن طقوس هذا العيد أن يأخذ الحاخام رماد الكتان المخلوط بهذا الدم ويدهن به خديه وعلي كل اليهود أن يفعلوا هذه الطقوس في هذا العيد ولكن يكتفي أحد الحاخامات بذلك عند تعذر وجود هذه الدماء.

١١- كما يشرب هؤلاء اليهود الخمور في أعيادهم وهي من أولي شعائرهم وطقوسهم الدينية ويرمز هؤلاء اليهود إلي الأخوة المسيحيين علي انهم هامان الشرير وزير فرعون وقيل هامان أحد ملوك الفرس.[2]

وعند استنزاف هذه الدماء يجب علي هؤلاء اليهود تعذيب أهلها عند استنزاف دمائهم منهم وهذا يدل علي شدة العداوة والكراهية والحقد الدفين في نفوس وعقول وقلوب هؤلاء اليهود.

١٢- ويجب علي كل يهودي أن يلعن النصارى ثلاث مرات كل يوم.

١- الكنز المرصود ص ٣١٥

٢- سفر العدد ص ٤:٨ ، ٨:٣٥

مؤامرة لهدم الأقصى والبحث عن الهيكل ٣٠٠

المؤامرات الإسرائيلية لم تتوقف ضد الأقصى. هجمات الحائدين تتابعت حتى المحاولة الأخيرة التي دنس فيها الإرهابي شارون المسجد الأقصى في حراسة ثلاثة آلاف من زبانيته.

رحلة طويلة من الاعتداءات على مدي ٣٢ عاما هي زمن الاحتلال للقدس شهدت أكثر من ٣٠٠ حالة اعتداء فوق الأرض وفي باطنها أعمال الحفر والتنقيب في باطن الأرض أسفل أساسيات الأقصى لم تتوقف بحثا عن هيكل سليمان منذ عام ١٩٦٧.

وعلى السطح لم تتوقف الهجمات البربرية المسلحة ضد المصلين وكثيرا ما انهمرت طلقات الرصاص على الساجدين. الحقد الذي دفع جماعات الإرهاب والقتل إلي زرع القنابل والمتفجرات في ساحات الأقصى.

دماء شهداء الأقصى سالت على مدي السنوات، برصاصات الإرهاب الصهيوني. آخرون سقطوا شهداء الدفاع عن المسجد الذي بارك الله حوله. ولم تتوقف رحلة الاعتداء منذ يونيو ٦٧ وحتى قام الإرهابي شارون بفعلته.

ولم يكره الإسرائيليون مكانا أكثر من كراهيتهم للمسجد الأقصى، لأنهم يرونه الحائل بينهم وبين البناء الثالث لهيكل سليمان وكانت سعادتهم بالغة باقتحام جيش الاحتلال القدس وتدنيس المسجد الأقصى وبدأت خطوات حثيثة لحاخاماتهم للانقضاض سريعا على الأقصى ورغم أن الحفريات التي لم تتوقف لم تصل لشيء سوي لبنايات من العصر الإسلامي وقناة للري

أسفل الأقصى كان يستخدمها المسلمون. ورغم ذلك إلا أنهم لم يتراجعوا عن أكاذيبهم التي روجوها حتى آمنوا بها.

وفي إسرائيل ١٢ منظمة متطرفة تستند لبناء الهيكل مكان المسجد الأقصى. وهذه المنظمات هدفها جميعا هدم المسجد الأقصى أولا. لذلك سارعت هذه المنظمات إلى تبني هذه الحفريات وهي منظمة عطيرات كوهانيم، وحركة الاستيلاء على الأقصى، وحركة جبل الله، وحركة أمناء جبل الهيكل، وحركة بناء الهيكل، وحركة كهاناي، وحركة حياد، وهيئة المواليد لساحة المعبد كل هذه الجماعات والمنظمات والحركات دعمت عمليات حفر واسعة أسفل الحرم وكانوا في سباق مع الزمن للوصول إلى هيكل سليمان ورغم أن الحفريات التي استمرت ثلاثين عاما وترتب عليها تصدع المعالم التاريخية مثل رباط الكرد، والمدرسة الجوهرية وانهيار المحكمة الشرعية والمكتبة الخالدة وزاوية أبو مدين وتحويل جزء من المحكمة الإسلامية إلى كنيس يهودي وإزالة قبور الصحابة، إضافة إلى تصدع ٣٥ مترا تاريخيا رغم كل هذا ورغم أن عمليات الحفر لم تترك مكانا إلا أن هذه المنظمات لم تصل لشيء يدلها على وجود هيكل سليمان، ومع ذلك فأوهام الهيكل مازالت تسيطر على جماعات القتل والإرهاب ورغم أن بعض المتخصصين من اليهود وكذبوا هذه الحقيقة، إلا أن قيادات التعصب والقتل ترفض الاقتناع. بل وبدأت حملات توزيع صور ورسومات للهيكل على تلاميذ المدارس لتتوارث أجيال الحقد والكراهية أوهام الهيكل.

والغريب أن جماعات الأوهام قد شيدت حجر الأساس ووضعته بجوار السور الخارجي للأقصى استعدادا لخطة بدء البناء وبدأ مهندسوهم عمل مجسات للأرض أسفل الحرم القدسي بل أن قبيلة "ليفي" التي تزعم أن ترعى الهيكل منذ نشأتها وقبل هدمه بدأت هذه القبيلة إعداد الحراس

والكهنة من أبنائها الذين سيشرفون علي الهيكل. حاخامات اليهود منقسمون علي لحظة بناء الهيكل. هناك من يري أنه يجب ظهور المسيح المنتظر أولا ثم يبدءون في بناء الهيكل. آخرون يصرون علي إعادة بناء الهيكل أولا استعدادا لاستقبال المسيح المنتظر وفريق منهم بدأ في إعداد طقوس التضحية ومنها البخور وأنواع خاصة من الضب لصنع النبيذ المقدس بل أن حركة أمناء الهيكل انتهت من صنع شمعدان ضخم من الذهب الخالص لاستخدامه في إضاءة الهيكل بعد إقامته بعدما تبرع ثري يهودي لشراء ٥٤٢ كيلو ذهب لصنع الشمعدان ومذبح المعبد من الذهب الخالص ويشرف الصهيوني (باروخ بن يوسف) علي اجتماعات سنوية لجماعة بناة الهيكل ويشارك فيها ١٠٠٠ صهيوني في حين أن هذا الاجتماع كان قبل ٧ سنوات لا يزيد عدده علي ٣٠ مشاركا فقط. ولم تظل الاستعدادات حتى أحجار بناء الهيكل، وتولي الإرهابي (إسحاق يا لوز) إعداد أحجار البناء ويتولي إعداد ٦ ملايين حجر للبناء.

تهريب الماس

ورغم الأموال التي تتلقاها جماعات الهدم والإرهاب من كل المنظمات الصهيونية حول العالم إلا أن مليونيرا يهوديا جمع أمواله من تهريب الماس والأحجار الكريمة يدعي (موسيه فرج) ولد عام ١٩٢٤ وهاجر إلي الكيان الصهيوني عام ١٩٥١ والتحق بمدرسة لصقل الماس والأحجار الكريمة وفتح محلا للمجوهرات في تل أبيب لكنه لم ينجح فترك إسرائيل وهاجر إلي الولايات المتحدة وعاش في لوس أنجلوس منذ عام ١٩٦٥م. واعتاد تهريب الماس والأحجار الكريمة مقابل عمولات كبيرة

وكون ثروة طائلة وافتتح محلا لبيع المجوهرات في حي الأثرياء "بيفولي هليز" وتضخمت ثروته وانتبهت إليه السفارة الأمريكية وبدأت في البحث عن مصادر ثروته وأرسلت إسرائيل أيضا بضابط يتحري أيضا عن أموال موشيه وشعر المليونير الغامض بالخطر فأسرع إلي إسرائيل، وذهب إلي مجلس الحاخامات الأعلي يعرض عليهم حلما وهميا عاشه بأنه سوف ينفق ملايين الدولارات لإعادة بناء الهيكل وخيمة الميعاد وأنه شاهد في الحلم من يكلفه بذلك وإن كل ثروته تحت تصرف مجلس الحاخامات لإعادة بناء الهيكل وذهب موشيه إلي مهندس متخصص في تصميم المعابد اليهودية وطلب منه إعداد تصميم للهيكل والشمدان العملاق وحمل المهندس التصميم ومعه المليونير المهرب موشيه وذهبا في ذلك الوقت إلي بنيامين نتنياهو وكان وقتها نائب وزير الخارجية الإسرائيلي وأعجب نتنياهو بالمشروع وباركه وكان لابد أن يتلقي مهرب الماس مقابل مبادرته فأصدر مجلس الحاخامات الأعلى فتواه بأن أموال موشيه طاهرة ونقية وهو ما يعني إضفاء الحماية علي المليونير المهرب وهو ما دفع المليونير إلي إعلان إتمام صناعة الشمدان العملاق ونسج خيمة الميعاد المصنوعة بخيوط من الذهب وينتظر التصريح بنقلها إلي ساحة الأقصى!

بقرة حمراء

ومن الطقوس الأساسية لبناء الهيكل ظهور البقرة الحمراء وهي بقرة لونها أحمر قاتم وغير مقبول حتى لا يوجد وجود شعرة بيضاء في جسدها ويشترط أن تكون سليمة ولا تشوبها شائبة ويتم ذبح هذه البقرة عندما تبلغ من العمر عامين وتحرق وتتحول إلي كرمة من الرماد الذي يتم

خلطه بالماء ويمسح الكهنة أجسامهم بالرماد المختلط بالماء قبل البدء في بناء الهيكل وفي عام ١٩٩٧ نشرت الصحف الإسرائيلية قصة ظهور البقرة الحمراء، أطلقوا عليها اسم "نغم" وتابعتها كل الصحف وكاميرا المصورين في إسرائيل وقال الحاخامات أن هذه البقرة سوف تتحول عندما يصبح عمرها عشرة أشهر، إلى قنبلة موقوتة تنفجر عندما يبلغ عمرها عامين لتطهير الكهنة والحاخامات استعدادا لبناء الهيكل والبقرة "نغم" ولدت في قرية صفد بإحدى مزارع المواشي وهذه القرية يسكنها طائفة تسمي "الحسيدين" وهي تضي الأتقياء وهي طائفة تعتقد في أن العلاقة الجنسية تصل بالإنسان إلي الروحانية، وعاش الإسرائيليون المتطرفون الحلم بأن بناء الهيكل وشيكا ولكن حدثت المفاجأة عندما أعلن الحاخام "مردخاي شهر ياهو" أن الفحص المجهري أثبت أن البقرة نغم ليست صالحة لأنه ثبت وجود عدد من بصيلات الشعر الأبيض في منتصف ذيلها وهذا يخالف الشروط الصارمة للبقرة الحمراء حيث يشترط ألا تكون بها شعرة واحدة لونها غير الأحمر وانتهت الأكذوبة.

الاعتداءات

وعلي خلفية هذه الهواجس والخرافات التي يؤمن بها اليهود بدأت سلسلة الاعتداء بعدما روي الحاخامات أن هيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى وفور حرب الأيام الستة ونكبة ١٩٦٧ بدأ حاخامات اليهود الترويج للدعاية المغرضة وكانت سعادتهم بالغة باحتلال القدس الشرقية ومنذ شهر يونيو اعتقد اليهود أن الأقصى بات أسيرا بين يديه وخرجت دعوات من الحاخامات للجيش الصهيوني بهدم المسجد الأقصى وفورا.

التناوبيم

جميع المراجع التاريخية والكتب حتى تلك التي ألفها يهود تؤكد أن القدس مدينة عربية وإسلامية الهوية منذ نشأتها في العصر البرونزي (٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد) على أيدي اليبوسيين وهم كنعانيون الذين رحلوا من الجزيرة العربية، وحتى الفترة التي يدعي فيها الإسرائيليون إقامة إمبراطورية داود وسليمان فإنها لم تستمر سوي ٨٥ عاما فقط بدأت في عام ١٠١٩ قبل الميلاد وانتهت عام ٢٧ قبل الميلاد وحتى خلال هذه الفترة كان اليهود أقلية بين سكان فلسطين الأصليين الذين كانوا يضمون كنعانيين وآشوريين وحيثيين وأموريين وحوريين ويوسيين.

ويعرف العهد القديم (كتاب اليهود المقدس) بهذه الحقيقة في سفر القضاة بتذكرة أن "بني بنيامين لم يطردوا اليبسيين سكان أورشليم حتى اليوم" وهو ما يؤكد أن اليهود لم تكن لديهم القدرة على طرد السكان الأصليين وإنما تسللوا وبالحلول السليمة تسربوا إلي البلاد.

وتقول الكاتبة البريطانية كاتلين كينون في كتابها (الآثار في الأراضي المقدسة) أن المملكة المتحدة لداود وسليمان استمرت حياتها ثلاثة أرباع القرن (٧٥عاما) وفي صفحة ٣٨ تشير إلي قصة الهيكل فتقول لقد شرع سليمان في تشييد الهيكل بعد أربع سنوات من توليه الحكم ٩٦٥ قبل الميلاد وتم تدميره بالكامل عام ٥٨٦ قبل الميلاد ولم يبق منه حجر واحد.

وبعيدا عن الدراسات التي تؤكد كذب حاخامات اليهود عاشوا الكذبة حتى صدقوها وبدءوا يقاتلون من أجل هدم الأقصى حتى الآن وفور سيطرة جيش العدوان على القدس الشرقية بدأت المؤامرات وقامت إسرائيل ومنظماتها الصهيونية بعشرات العمليات ضد الأقصى وكان أكبرها وأكثرها

خبثا في ١١ أغسطس عام ١٩٦٩م. عندما أشعل مجموعة من اليهود النيران في المسجد الأقصى وأسفر الحريق الهائل عن تدمير الجناح الشرقي بالكامل وأتت النيران على السقف الجنوبي للمسجد ومنبر السلطان نور الدين ومنبر ومحراب صلاح الدين وأمام غضب المسلمين في العالم ادعت إسرائيل أن شخصا متعصبا يدعي مايكل دورهان وهو من أصل أسترالي قاد عصابة لارتكاب جريمته.

وفي عام ١٩٧٦ حاول ٤٠ يهوديا اقتحام المسجد الأقصى وإقامة الصلاة فيه عنوة وفي يناير ١٩٧٧ هاجمت مجموعة يهودية مسلحة بكميات هائلة من الأسلحة والمتفجرات من ذلك النوع الذي يستخدمه الجيش الإسرائيلي ونشرت صحيفة هآرتس في ذلك الوقت أن عناصر من الجيش اشتركوا في تنفيذ الهجوم على الأقصى وكان هدف المجموعة هو تفجير المسجد الأقصى وكان قد سبق الهجوم بيان من منظمة إرهابية يقودها الحاخام "مردخاي إلياهو" أنه على الحكومة الإسرائيلية بناء الهيكل على أنقاض الأقصى دون بكاء.

وفي شهر مايو ١٩٨٠ وضع الإرهابي الشهير الحاخام "مائير كاهانا" أكثر من طن من المتفجرات داخل المسجد الأقصى لتفجيره إلا أن حراس الأقصى أفشلوا المحاولة وحوكم "كاهانا" ومساعده "بازوخ جريد". ورغم بشاعة الجريمة إلا أن الحكم الذي صدر كان لا يتفق مع الجريمة إذ قضت المحكمة بحبس كاهانا ومساعدة ستة أشهر. وفي ٢٧ يناير عام ١٩٨٣ جرت محاولة فاشلة لنسف المنطقة المحيطة بالمسجد الأقصى وفي ٥ مارس ١٩٨٣ أي بعد حوالي شهر حيث اكتشف الحراس عبوة ناسفة ضخمة بجوار المسجد الأقصى استهدف واضعوها تدمير المسجد وبعد خمسة أيام وفي ١٠ مارس عام ١٩٨٣ قامت مجموعة من

٤٥ يهوديا من اتباع ثلاث منظمات إرهابية، هي "جوش إيمونيم" و"كاخ" و"أمناء جبل البيس" باقتحام المسجد الأقصى من خلال فتحة أحدثتها الحفريات التي تجريها سلطات الاحتلال الصهيوني تحت أساساته، وقد تزعم الهجوم الإرهابيان مائير كاهانا وإسرائيل ارائيل رئيس مجلس المستوطنات في الضفة الغربية المحتلة.

وبعد عشرة أيام ٢١ مارس في نفس العام كشفت لجنة الدفاع عن الأقصى عن جمعية "صندوق جبل البيس" تم تشكيلها في الأراضي المحتلة ولها فروع آخر في كاليفورنيا هدفها المسجد الأقصى وتضم الجمعية جماعة "جوش الجونين" الإرهابية والناتبة المتطرفة جيلولا كوهين ويتزعمها تيري ايزنهاور وستانلي جولدفوت وفي الثاني من إبريل عام ١٩٨٣ هاجم المتطرفون اليهود المسجد الأقصى واعتدوا على المصلين وأصيب عدد كبير من المصلين.

ووصل الإرهاب الإسرائيلي إلى نواب الكنيست في ١٤ يناير عام ١٩٨٦ قامت مجموعة من أعضاء الكنيست الإسرائيلي باقتحام المسجد الأقصى والعبث بمحتوياته وفي ٧ يونيو ١٩٨٦ اقتحمت مجموعة من اليهود المتطرفين من أعضاء منظمة "جوش إيمونيم" الإرهابية المسجد الأقصى وأقاموا احتفالا دينيا داخل الأقصى.

وفي ١٥ يناير ١٩٨٨ سالت الدماء الفلسطينية داخل الأقصى عندما هاجمت مجموعة مسلحة تابعة لجيش الاعتداء الإسرائيلي المسجد وأطلقت الرصاص في كل اتجاه فسقط شهيدا فلسطينيا وأصيب ١١٥ آخرون بجراح.

وفي ٨ أكتوبر عام ١٩٩٠ تزعم الإرهابي جرشون سلمون جماعة "أمناء جبل الهيكل" محاولة لاقتحام المسجد الأقصى فتصدي لهم المصلون وتدخلت قوات الاحتلال وأطلقت النار وسقط ٤٢ شهيدا وأصيب المئات

برصاصات الغدر سائح غربي عن الجريمة وشاهده مجلس الأمن بعدما اتهم وكشف شريط فيديو صوت مندوب الكيان الصهيوني الفلسطينيين بالاعتداء وأن الجيش كان يدافع عن نفسه وفي نوفمبر ١٩٩٥ تم ضبط متطرف يدعي "إيال كيني" ٢٥ عاما بعد قيامه بالإعداد لإطلاق صاروخ علي مسجد الصخرة قرب المسجد الأقصى، بعد أن تدرب علي هذا الأمر عدة مرات.

وفي شهر أغسطس ١٩٩٦ اقتحم الإسرائيليون نفقا أسفل المسجد الأقصى واعتبروه مزارا دينيا وسياحيا بعد عمل استمر أكثر من عشرين عاما ويومها ثار الفلسطينيون للأقصى وسقط في المواجهات ٦٤ شهيدا وأصيب أكثر من ١٥٠٠ آخرين وتضررت مباني ومنشآت الأقصى. اعتداءات لم تتوقف وإرهابيون وقتلة يقتحمون الأقصى ويقتلون المصلين والآن بقي الأقصى صامدا بفضل الشهداء ودماء الفلسطينيين التي سالت وتسيل حتى لحظة كتابة سجل الإجرام.[1]

ومثلما كانت عليه الحال في الأشهر الماضية قام جيش الاحتلال بالعمليات الميدانية الآتية:

١- عمليات التصفية:-

واصلت قوات الاحتلال عمليات التصفية ضد كوادر وقادة الأجهزة العسكرية في التنظيمات الفلسطينية ففي ٢٠٠٢/٢/٤ قام الجيش الاحتلال بتصفية ناصر أبو عاذرة (٣٣ عاما) قائد الجناح العسكري لحركة (فتح) المعروف بـ (كتائب شهداء الأقصى) في منطقة رفح، ومعه تم تصفية قادة الجناح العسكري للجبهة الديمقراطية المعروف بـ (كتائب المقاومة الوطنية) وهم،إبراهيم أبو جربوع ٢٧ عاما، وماجد مرزوق أبو معمر ٢٨ عاما.

١- الحوادث القاهرية ٢٠٠٠/١٠/١٣

ومحمد أبو سنينه ٢٣ عاما، وأيمن عبد القادر البهداوي ٣٠ عاما، الذي يوصف بأنه قائد (لجان المقاومة الشعبية) في رفح، وهو تجمع يضم مقاتلين من مختلف التنظيمات الفلسطينية.

وفي ٢٠٠٢/٢/١٦ قامت الاستخبارات الإسرائيلية باغتيال قائد الجناح العسكري لـ (حماس) في شمال الضفة الغربية نزيه أبو السباع ٢٦ عاما بتفجير سيارته عندما كان خارجا من المدرسة التي يعمل فيها مدرسا في مدينة جنين شمال الضفة الغربية وقد اتهمت المخابرات الإسرائيلية (أبو السباع) بأنه كان يخطط لإطلاق صواريخ (قسام) التي طورها الجناح العسكري لـ (حماس) على المدن الإسرائيلية المحيطة بمنطقة جنين.

وقد تمت عمليات التصفية هذه على الرغم من أن شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) قدمت تقريرا في مطلع فبراير إلى حكومة شارون، تؤكد فيه أنه ثبت حتى الآن أن عمليات التصفية قد زادت من العمليات الأستشهادية! واتهمت وسائل الإعلام الإسرائيلية حكومة شارون بأنها تواصل عمليات التصفية على الرغم من أنه قد ثبت مساهمتها في تدهور الأوضاع الأمنية وليس في تحسينها، وأن شارون يتحرك وفق ما تمليه عليه محددات السياسة الداخلية الضيقة. لذلك كان اغتيال الشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي.

٣- القصف الجوي:-

انتفاضة الأقصى قامت المروحيات الإسرائيلية من طراز أباتشي أمريكية الصنع بقصف مقر حماس في مخيم (جباليا) شمال قطاع غزة في ٢٠٠٢/٢/١٩م وقد أسفر القصف عن استشهاد أثنين من عناصر الحركة، وجرح أثني عشر مواطنا آخرين سن بينهم طفلة في حالة الخطر الشديد.

٣-اقتحام المخيمات:-

لأول مرة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى أيضا، قامت قوات الاحتلال بعمليات برية داخل مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية بغرض إلقاء القبض على مطلوبين لقوات الاحتلال ففي فجر ٢٠٠٢/٢/٢٨ قامت قوات الاحتلال باقتحام مخيمي جنين وبلاطة وقد ارتكب جنود الاحتلال أثناء عمليات الاقتحام مجزرة راح ضحيتها تسعة شهداء فلسطينيين، خمسة منهم من عناصر الأمن الفلسطيني.

وقد أكدت سلطات الاحتلال أن العمليات البرية هذه جاءت من أجل إلقاء القبض على قادة الأجنحة العسكرية في التنظيمات الفلسطينية أو تصفيتهم، لا سيما عناصر (كتائب شهداء الأقصى) المسؤولين عن أكبر العمليات العسكرية مؤخرا.

٤- تثبيت الاحتلال في مناطق السلطة:-

لأول مرة منذ تشكيل السلطة الفلسطينية ١٩٩٤ قام جيش الاحتلال بإقامة معسكرات لجنوده في قلب مناطق السيادة الفلسطينية، في مؤشر على نية قوات الاحتلال مواصلة عملياتها الميدانية بشكل متواصل دون الحاجة إلى أن تقطع هذه القوات مسافات كبيرة لدى صدور القرار بتنفيذ عمليات في المدن والبلدان والقرى والمخيمات الفلسطينية وكان أول مخيم للجيش قد أقيم بالقرب من بلدة (طمون) المتاخمة لمدينة جنين، مع العلم أن جنود جيش الاحتلال كانوا حتى هذا الوقت يقضون لياليهم إما على أسطح بنايات فلسطينية تتم السيطرة عليها بشكل مؤقت، أو داخل دباباتهم.

٥- الاختطاف:-

واصلت قوات الاحتلال عمليات مداهمة مناطق السلطة الفلسطينية والقيام باختطاف كوادر التنظيمات الفلسطينية، كما تمت عمليات الاختطاف عبر توقيف الفلسطينيين على حواجز الاحتلال المنتشرة في شوارع الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد أكثر جيش الاحتلال من نصب الحواجز الطيارة (غير الكاتبة) التي تنصب فقط عندما تتوافر معلومات استخبارية عن قرب مرور فلسطيني مطلوب لقوات الاحتلال عبر شارع ما.

وإلى جانب كوادر التنظيمات الفلسطينية فقد قام الاحتلال باعتقال مسؤولين كبار في السلطة ففي تاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٧ قامت قوات الاحتلال باعتقال محمد جبارين مدير عام وزارة الحكم المحلي الفلسطيني في الخليل واثنين من أبنائه، وقد أطلق سراحهم بعد التحقيق معهم وإهانتهم.

٦- احتواء محاصرة الرئيس:-

واصلت قوات الاحتلال محاصرة الرئيس الفلسطيني في (رام الله) ومنعه من التحرك خارج المدينة وعلى الرغم من أن قوات الأمن الفلسطينية أعلنت بشكل تظاهري عن قيامها باعتقال عناصر (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) الذين قاموا باغتيال وزير السياحة الإسرائيلي السابق (رحبعام زئيفي) فإن قوات الاحتلال رفضت الإفراج عن عرفات مع أن الحكومة الإسرائيلية قد اشترطت للإفراج عنه قيام أجهزته الأمنية باعتقال قيادات وعناصر الجبهة الشعبية الذين أصدروا التعليمات لاغتيال زئيفي والذين نفذوا العملية وقد جدد شارون رفضه السماح لعرفات بمغادرة (رام الله) وذلك استجابة اللواءات قادة الأحزاب اليمينية المتطرفة في ائتلافه.

٧- قتل الجرحى الفلسطينيين :-

شهد شهر شباط/فبراير فظائع ارتكبتها قوات الاحتلال، فقد تبين أنها تقوم بالاعتداء على الجرحى الفلسطينيين بعد إصابتهم بجراح خفيفة ومتوسطة، كما حدث في (جنين) في ٢٠٠٢/٢/٢٨ عندما قام جنود الوحدات الخاصة بإطلاق النار على ثلاثة من عناصر الأمن الفلسطيني بعد جرحهم كما حرص الاحتلال على ترك الجرحى الفلسطينيين ينزفون في ساحة المواجهات حتى يلفظون آخر أنفاسهم حيث يمنع جنود الاحتلال نقل الجرحى إلى المستشفيات ويقومون بإطلاق النار على سيارات الإسعاف التي تحاول نقل الجرحى.

الوحدات التي برزت في تنفيذ الجرائم

واصل جيش الاحتلال الاعتماد علي الوية المشاة المختارة والوحدات الخاصة في تنفيذ جرائمه ضد الشعب الفلسطيني، وقد برز شكل من الوحدات الخاصة.

١- وحدة المستعربين (دوفديفان) التي تولت بشكل خاص عمليات الاختطاف التي تمت أثناء مداهمة التجمعات السكانية الفلسطينية، كما نشط عناصر (دوفديفان) علي الحواجز، وقاموا باستدراج العشرات من الفلسطينيين إلي مصائد الاعتقال ونظرا للدور الذي تقوم به وحدة المستعربين فقد قررت هيئة أركان جيش الاحتلال تشكيل وحدة ثانية للمستعربين تعمل في قطاع غزة، بعد أن ظل عملهم مقصورا علي الضفة الغربية.

٢- وحدات (أيجوز) ساهمت في عمليات الاقتحام.

٣- الوحدة المختارة لمكافحة الإرهاب التابعة لشرطة الاحتلال المعروفة بـ (يمام) وإلي جانب الوحدات الخاصة، نشطت ألوية المشاة المختارة، ففي الضفة الغربية تولي لواء (هناحل) القيام بعمليات مداهمة التجمعات السكانية الفلسطينية كما نشط (لواء المظليين) في عمليات المداهمة والاختطاف بوجود عناصر (المستعربين) وفي قطاع غزة ينشط لواء (جفعاتي) ولواء (جولاني) في عمليات التصفية والاختطاف وتأمين تنقلات المستوطنين من المستوطنات إلي إسرائيل والعكس.

عمليات المقاومة .. الإبداع بفوق الخيال

حقا إن هذه العمليات قد تجاوزت حتى أسوء التوقعات التي رسمها الجيش أنه إبداع بفوق الخيال! بهذه الكلمات علق الجنرال أمنون شاحك الرئيس السابق لهيئة أركان جيش الاحتلال علي العمليات النوعية التي نفذتها المقاومة الفلسطينية، والتي أدت إلي قتل ٢٢ إسرائيليا من بينهم سبعة عشر جنديا ويجمع المراقبون علي أن شهر شباط (فبراير) شهد انتقال العمل المقاوم الفلسطيني إلي مرحلة حرب العصابات التي تعجز الجيوش النظامية عن مواجهتها.

وتمكن الإشارة إلي عدد من مظاهر العمل الفلسطيني المقاوم في هذا الشهر:

١ – استهداف الحواجز العسكرية:

وخير مثال علي ذلك عملية (عين عبريك) بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٩ ففي هذه العملية قام رجال المقاومة بمهاجمة وحدة مختارة إسرائيلية ترابط علي حاجز في قرية (عين عبريك) غرب مدينة (رام الله) وسط الضفة الغربية، وقد قام رجال المقاومة بقتل ستة من عناصر الوحدات الخاصة الإسرائيلية، وجرحوا سابعا، وسلبوا أسلحتهم، ثم انسحبوا من المكان دون أن يستطيع جندي إسرائيلي الرد علي هذه العمليات، علي الرغم من أن ثلاثة مواقع عسكرية إسرائيلية كانت علي بعد أمتار من الموقع المهاجم.

وقد سبق لعناصر (كتائب شهداء الأقصى) أن قاموا بعملية أخرى استهدفت حاجزا عسكريا، وأسفرت عن مقتل جندي وإصابة آخر وقد دعا العديد من المراقبين العسكريين الإسرائيليين علي أثر هذه العمليات إلي عدم نصب الحواجز بعد أن تحولت إلي مصيدة لجنود الاحتلال لا المقاومين.

٢- تفجير الدبابات الإحتلالية:

لعلها المرة الأولي خلال المواجهة بين إسرائيل وفصائل المقاومة علي امتداد عقود بكاملها التي تنجح المقاومة الفلسطينية فيها بتدمير دبابة (ميركفاة - ٣) التي توصف بأنها الدبابة الأكثر تحصنا في العالم بأسره، حيث نجحت (كتائب شهداء الأقصى) في استدراج دبابات الاحتلال إلي مكان تم زرعه بعبوات ناسفة، وبعد ذلك تم تفجيرها لتدمر الدبابة ويقتل ثلاثة من أفراد طاقمها.

٣- اقتحام المستوطنات:

فلأول مرة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى تنجح المقاومة الفلسطينية في اقتحام مستوطنة في الضفة الغربية فقد قام أحد عناصر الجهاز العسكري لـ (حماس) في ٢٠٠٢/٢/٧ باقتحام مستوطنة (حمرا) في غور الأردن، وقتل ثلاثة مستوطنين وجرح عددا أخر.

٤- التسلل من الحدود:

فلأول مرة منذ أكثر من عقد ونصف يتسلل فدائيون فلسطينيون من الحدود المصرية الفلسطينية لتنفيذ عمليات فدائية وقد حدث هذا في ٢٠٠٢/٢/٢٧، عندما تسلل ثلاثة فدائيون إلي داخل حدود دولة الاحتلال، وقد استشهدوا اثر اشتباك مع المئات من قوات الاحتلال.

٥- تطوير صواريخ محلية الصنع:

في هذا الشهر انضم الجهاز العسكري لـ (فتح) كتائب شهداء الأقصى إلي الجهاز العسكر لـ (حماس) كتائب الشهيد عز الدين القسام في

تطوير صواريخ خاصة به أطلق عليها القسى ١ والقسى ٢، في نفس الوقت واصلت كتائب القسام قصف المستوطنات الإسرائيلية داخل قطاع غزة وداخل الخط الأخضر بصواريخ القسام.

٦- إسرائيل تستخدم وسائل غير مشروعة:

استخدمت إسرائيل في محاولة للقضاء على الانتفاضة العديد من الوسائل التي لا يمكن استخدامها إلا في مواجهة جيش وقوات منظمة وليس مجموعة من المدنيين العزل، ومن ضمن تلك الإجراءات غير المشروعة بحسب المعاهدات الدولية:

- استعمال الرصاص الحي ضد المدنيين ومعظمهم من الأطفال.
- استخدام المدفعيات الثقيلة والمدرعات، ومدافع طائرات الأباتشي وصواريخ المتفجرات إلى ١٦ ضد حشود كبيرة من المحتجين وبيوت المدنيين بالإضافة إلى عدد من مكاتب الأمن والرئاسة الفلسطينية.
- إطلاق النار على الطواقم الطبية وسيارات الإسعاف الفلسطينية.
- استخدام العقاب الجماعي مثل الحصار العسكري وفرض نظام منع التجول على معظم التجمعات الفلسطينية.
- تدمير المنازل وتجريف الأراضي.

٧- استشهاد محمد الدرة:

جاءت مشاهد قتل الطفل الشهيد محمد الدرة البالغ من العمر ١٢ عاما في غزة لتروع العالم، بعد أن تمكن مصور تلفزيوني من التقاط صورة مؤلمة للطفل وهو يحاول الاحتماء بأبيه جمال الذي ظل يصرخ مناشدا الجنود الإسرائيليين بالتوقف عن اطلاق النار صوبهما لكن وابلاً من

الرصاص أطلق عليهما أودي بحياة الدرة وأصاب والدة بجروح خطيرة. التوسع الدائم لصالح اليهود، كما تحاصر في الوقت نفسه المواطنين العرب وتقضي علي أي فرصة أمامهم للتوسع العمراني.

كذلك سنت سلطات الاحتلال القوانين الخاصة بمدينة القدس واعتبرتها جزءاً من أراضيها واتخذت إجراءات كثيرة لتغيير الطابع السياسي والديني والثقافي للمدينة، وكان أخطر تلك القرارات الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي في يوليو عام ١٩٨٠م باعتبار مدينتي القدس الشرقية الغربية عاصمة موحدة وأبدية لدولة إسرائيل وهو القرار الذي أكده الكنيست مرة أخري بقرار صدر في العاشر من مايو العام ١٩٩٤م زعموا فيه أن مدينة القدس ستبقي موحدة إلي الأبد تحت سيادة إسرائيل.

وبهدف إطفاء الطابع اليهودي علي المدينة، لجأت سلطات الاحتلال إلي مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات لأراضي تخص المواطنين العرب في داخل المدينة القديمة من مدينة القدس وما حولها.

كما لجأت هذه السلطات إلي إقامة أحياء سكنية صهيونية في داخل المدينة القديمة منها مع إقامة عشرات المستوطنات حولها، من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية بحيث تحاصر المدينة وتعزلها عن سائر مناطق فلسطين.

سلطان الاحتلال لجأت أيضا إلي حرمان السكان العرب من رخص البناء بالمدينة لليهود ومنذ الأيام الأولي لعام ١٩٩٥ كشفت الدولة اليهودية النقاب عن قرارها بمصادرة أكثر من ٥٣ هكتارا (نحو ١٣١ فدانا) من الأراضي التي يملكها فلسطينيون في القدس الشرقية بهدف بناء مجمع إسكاني لليهود ومركز للشرطة وكانت تلك المرة الأولي منذ عام ١٩٦٧م التي تعلن فيها الحكومة الصهيونية أنها تصادر أراضي فلسطينية من أجل

إنشاء أحياء سكنية يهودية في حين كانت في السابق تعلل مصادرتها بأنها لأغراض عامة أو أمنية.

أثار قرار المصادرة دويا كبيرا في العالم العربي والإسلامي وتبني مجلس الأمن قرارا معتدلا جدا في لغته وصياغته لإدانة القرار الصهيوني لكن الولايات المتحدة استخدمت حق الفيتو في (١٧ مايو ١٩٩٥م) لقتل القرار الذي نال موافقة الدول الأعضاء الدائمة وغير الدائمة بالمجلس وعندها استشعرت الدول العربية أهمية عقد قمة عربية محددة لمناقشة أبعاد قرار المصادرة الإسرائيلية للأراضي الفلسطينية واتخاذ موقف محدد تجاهه وتم تحديد موعد لقمة عربية كانت في المغرب في أواخر مايو ١٩٩٥م إلا أن تراجع الحكومة الصهيونية عن تنفيذ قرار المصادرة وتطبيقه أو تجميده في (٢٤ مايو ١٩٩٥م) أدي إلي تطويق عقد القمة العربية.

التهجير .. والحصار

من أهم الإجراءات التي اتخذها الدولة اليهودية في هذا الصدد قيامها بتهجير أكبر عدد ممكن من السكان العرب من القدس المدينة المقدسة إلي خارج حدودها بطرق متباينة إضافة إلي فرض الضرائب المرتفعة والمتنوعة علي السكان العرب في المدينة لتعجيزهم اقتصاديا مع فرض حصار عسكري علي المدينة المقدسة ومنع المسلمين في جميع أنحاء فلسطين من الوصول إليها وحرمانهم من الصلاة في مسجدها الأقصى المبارك وبخاصة في شهر رمضان المبارك لإحتشاد اليهود في القدس كما يؤكد فهمي هويدي أدي بقوة الطرد إلي أبعاد العرب عنها مسلمين

ومسيحيين ويستشهد هويدي بدراسة نشرتها الكاتبة الأمريكية جريس هالسيل التي زارت الأراضي الفلسطينية المحتلة للتعرف على أوضاع شعبها والمسيحيين منهم بوجه أخص وذكرت فيها ما نصه لم يبق في أرض المسيحية سوي أربعين ألفا من المسيحيين وقبل نصف قرن من الزمان كان عدد سكان مدينة القدس ١٣٥ ألفا كما ان سكان بيت لحم قد تناقصوا في القدس حتى أصبح بالإمكان لطالراتي جامبو أن تنقلهم جميعا (أي أنهم أصبحوا نحو ألف شخص) وصاروا في بيت لحم مجرد ١٠% من مجموعة سكانها الأصليين.[1]

تطهير عرقي يهودي

حملة التهويد هذه فيما يراه هويدي سكانيا عمرانيا لا تنتهك ميثاق الأمم المتحدة، وقرارات مجلس الأمن فقط، ولا تنتهك ميثاق حقوق الإنسان بدورها فقط من حيث أنها تحرم أصحاب الأرض من حق الحياة فيها، ولكنها تعد نوعا من التطهير العرقي التدريجي الذي يستبد المسلمين والمسيحيين بأساليب غاية في الخبث لتصفية المدينة لصالح اليهود في نهاية المطاف.

ومن شأن ذلك أن يحول المدينة من واقع متعددة الثقافات استقر عبر قرون تحت الحكم الإسلامي إلى واقع يهودي في تهويد المسجد الأقصى.

وفي إطار التهويد المستمر يخطط الكيان الصهيوني لتهويد المسجد الأقصى، وذلك عبر اتجاهين أولهما الحفريات حول حرم المسجد وهي حفريات بدأت منذ وقت مبكر من الاحتلال ولا تزال مستمرة.

١- مجلة نيك الأمريكية عدد أول ابريل ٩٥

وقد مرت بكثير من المراحل بالإضافة إلى الحفريات في أسفل العقارات الوقفية الأثرية التي تلاصق السور الخارجي للمسجد الأقصى المبارك من الجهتين الغربية والشمالية، تقوم بها السلطات الصهيونية المحتلة منذ العام ١٩٦٧م، وحتى الآن بدعوى البحث عن هيكل سليمان المزعوم والتنقيب عن آثار عبرية لإثبات وجود لهم في هذه الديار إلا أنهم لم يعثروا على شيء.

أما الاتجاه الثاني لتهويد المسجد الأقصى فهو الاتجاه غير الرسمي الذي أخذ شكلا متنامياً منذ الاحتلال وحتى الآن وتتزعمه الجماعات اليهودية ذات العقيدة المتطرفة التي تتزايد ويتزايد معها تأثيرها على مراكز اتخاذ القرار في الكيان الصهيوني حتى أنها أصبحت تشكل ربع عدد المقاعد أو أكثر في الكنيست الصهيوني الحالي وما قبله.

هذه الجماعات بذلت ومازالت تبذل محاولات متكررة لإقامة صلواتها في ساحة المسجد المبارك بدعوى كاذبة هي أن هيكل سليمان عليه السلام يقع أسفل المسجد مباشرة.

وليس خافياً أن إسرائيل تقوم منذ فترة طويلة بالترويج لمشروع كبير لبناء هيكل سليمان بعد إزالة قبة الصخرة المشرفة كما يوجد ما كبت مجسم لذلك معروض في أحد المتاحف الإسرائيلية.

أما الزعم الإسرائيلي بأن هيكل سليمان يقع تحت المسجد الأقصى فقد كان أيضاً وراء استمرار حفريات الأنفاق حتى الآن تحت أساسيات المسجد وأسفل العقارات الوقفية الأثرية التي تلاصق السور الخارجي للمسجد الأقصى من الجهتين الغربية ويجري ذلك بالأسلوب.

الدموي الإسرائيلي والصمت العربي نوافذ الزور

نوافذ الزور:-

لن نضيف جديدا بتأكيدنا مجددا أن الطبيعة الإرهابية الدموية الصهيونية تبلغ في هذه الأيام ذروة جديدة في تجلياتها تعيدنا عبر نفق الزمن الصهيوني إلى أحداث فلسطين والنكبة عام ١٩٤٨ فالمشهد الذي نراه على أرض فلسطين هو بالمضامين والمخططات والأهداف الصهيونية ذات المشهد عشية وخلال النكبة.

فباعتراف عدد كبير من جنرالاتهم وسياسييهم ومفكريهم وباحثيهم فإن ما يجري اليوم هو بمثابة المعركة الأخيرة في حرب الاستقلال العبري وما يجري هو من وجهة نظرنا أيضا حرب فلسطين الثانية بعد تلك الحرب الكارثة التي أضاع العرب فيها فلسطين ولذلك ليس عبثا أن أعلن بلدوزرهم الإرهابي شارون المعركة معركة وجود فإما نحن وإما هم. وليس عبثا أيضا في الوقت ذاته أن تظهر أمامنا في هذه الأيام الطبيعة الصهيونية الإجرامية بأبشع صورها فجرائم الحرب الشاملة التي تقترفها آلة الفتك والدمار الإسرائيلية ضد مدن ومخيمات وقرى الفلسطينيين لم تترك عملياً لا بيتا ولا إنسانا ولا شجرا إلا وألحقت به الأذى والدمار ليعيش الشعب الفلسطيني بين فك الإرهاب الإسرائيلي فمعركة الوجود تقتضي منهم مثل هذه المنهجية الإرهابية المنفلتة بلا سقف وبلا حدود وبلا كوابح فإذا ما عدنا لقراءة أدبياتهم وأفكارهم ومخططاتهم المبيتة والمعلنة على حد سواء، نجد أن ما يجرى الآن ضد أطفال ونساء وشيوخ وشبان فلسطين إنما هو تصعيد منهجي مدروس ينطوي على مضامين وأبعاد سياسية واستراتيجية تتعلق

بالوجود والحقوق العربية الفلسطينية المشروعة الراسخة وهم يسعون عبر هذه الحرب الشاملة الدموية المنهجية ليس فقط إلي تحويل الفلسطينيين إلي إرهابيين ومجرمين وإنما وهذا الأهم وإلي تجريدهم من مقومات وجودهم واستقلالهم وسيادتهم وهم يسعون أيضا عبر هذه الحرب القذرة المستمرة إلي تركيع الشعب الفلسطيني الذي أبي ويأبى أن يركع ونقول في ضوء كل ذلك: أن الإجماع الفلسطيني هناك علي أرض المعركة ينصب حول الصمود والصلابة والتماسك المعنوي وحول خيار التصدي والتصعيد الانتفاضي باعتباره الخيار الوحيد الماثل أمام أهلنا في مواجهة الطلب الحديدية النارية الإسرائيلية الصماء.

ونقول في الوقت ذاته: أن ما جري أيام النكبة وضياع فلسطين لم يكن ليجري أبدا لولا الاسترخاء والتخاذل والصمت العربي والتآمر الدولي وأن ما يجري في هذه الأيام أيضا ضد أهلنا هناك لم يكن ليجري وبهذه الصورة المنهجية الإجرامية وفي وضح النهار لولا الطغيان والتواطؤ الأمريكي من جهة ولو الصمت العربي المريب وبذلك يصبح الشعب الفلسطيني الصامد صمودا أسطوريا ليس فقط في مواجهة الحرب ولحصار الإسرائيليين وإنما وهذا الطامة الكبرى تحت وطأة الصمت والتفرج العربي.

بعد إنهاء السلطة والبحث عن بديل لها

لجأت الحكومة الإسرائيلية إلي العمل في مسارين متوازيين الأول إيجاد خليفة لعرفات مع التلويح له بهذه الورقة، فيما تمثل المسار الثاني بتفويض السلطة الفلسطينية وإزالة وجودها علي الأراضي الفلسطينية وذلك عبر تدمير مقارها وبناها التحتية.

وفي حال إنهاء وجود السلطة فإن جيش الاحتلال الإسرائيلي سيضطر إلى البقاء لمدة أطول في مناطق الحكم الذاتي، حتى يتمكن من إنشاء وتكوين أجهزة مدنية فلسطينية جديدة على غرار نظام وروابط القرى الذي حاول الإسرائيليون إقامته وتطبيقه أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى مع محاولة التوصل إلى اتفاقيات مرحلية جديدة مع قيادات فلسطينية قد تقبل بالعرض الإسرائيلي بمنحهم بعض المسؤوليات لمدة سنوات.

إلا أن هذه الخيار مستبعد في ظل المقاومة الفلسطينية الشديدة للاحتلال الإسرائيلي لأن فشل أي نظام إداري يقيمه الإسرائيليون كما حدث في روابط القرى سيدفع قوى المقاومة الفلسطينية إلى تولي زمام المبادرة وقيادة الشعب الفلسطيني لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي وفي مخيلتهم ما أنجزه حزب الله في جنوب لبنان.

قمة لا تخذل انتفاضة الأقصى!

رغم انني أشعر مثل ملايين غيري، بانكسار داخلي وشرخ يشق الأعماق بالحزن والمرارة، على ما يجري من عدوان صهيوني نازي، ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، الا من حجارة الكرامة.

فإنني أشاهد مثل ملايين غيري أيضا، بالرهان على القمة العربية، التي ستجتمع قريبا بعد ساعات لطالما تعيد إلينا بعض الأمل الذي يداوي مرارة الانكسار، بل لطالما ترتقي إلى مستوى تضحية الشهداء فوق الأرض المقدسة، الذين يواجهون دبابات إسرائيل بصدور عارية.

فهل ستدخل القمة العربية هذه التاريخ باعتبارها القمة التي لن تخذل شهداء الأقصى والتي تواجه المستحيل الإسرائيلي، والتي تستجيب لثورة الضمير والرفض، والتي بلغت عناوينها، في أرجاء الأمة العربية ثورة على ترك شعب عربي أعزل يموت تحت جنازير الدبابات وصواريخ الطائرات، دون معين او مجير، ورفضا لأوضاع عربية استكانت للعدوان واستمرأت الشكوى، وتقاعست عن العمل الجدي!

ومن واجبنا ان نذكر القمة العربية، حين تجتمع نرجوا ألا يغرنكها مغرنكل أنها تواجه موقفا عصيبا، هو الأشد عنفا وشراسة وتعقيدا، من كل القمم السابقة، بما في قمة ١٩٩٠، التي أسرعت بالانعقاد لمواجهة غزو العراق للكويت.

القمة الحالية تواجه أزمة أشد وأقصى، لأن نجاحها الذي نتمناه سيمثل تحولا استراتيجيا في مسار الصراع العربي الإسرائيلي، من ناحية وفي مستقبل العمل العربي المشترك من ناحية أخرى، وقد بدأ الاثنان في

تاريخ متقارب، الأول تفجر حربا عام ١٩٤٨، والثاني تفجر أملا عام ١٩٤٥، لكنهما معا سارا في دروب مختلفة، وإن كانت النتيجة واحدة خلاصتها الإحباط.

ومن واجب حكماء هذه الأمة، أن يذكروا القمة الجديدة، وهي تجمع وجوها جديدة وحكاما شبابا، بروح قمة عربية سابقة، انعقدت في ظروف مشابهة، ونعني قمة الخرطوم التي عقدت في ظلال العدوان الإسرائيلي الرهيب عام ١٩٦٧.

لقد استشعر الزعماء العرب الذين أسرعوا بعقد قمة الخرطوم، أن الخطر العدواني الصهيوني قد جاوز كل الحدود واحتل أراضي كل فلسطين والقدس، فضلا عن احتلال أراضي من مصر وسوريا والأردن، وأدركوا أن الهدف الإسرائيلي المسنود أوروبيا وأمريكيا، ليس مجرد احتلال أرض، ولكن كسر إرادة الأمة العربية واستهان كرامتها، ثقة أن الخلافات العربية لن تتيح للعرب فرصة التجمع من جديد خصوصا في ظل الهزيمة المريرة!

لكل حكماء قمة الخرطوم، فطنوا لنقيض ما تمناه أعداؤهم جميعا سقطت أمام العدوان الإسرائيلي الغاشم، كل الحساسيات والخلافات، وتعانق المتخاصمون واتفقوا واشهرهم عبد الناصر وفيصل على الوقوف صفا واحدا لتقوية إرادة الأمة، وإرادة المقاومة، ونظن أن استراتيجية رفض الهزيمة ومقاومة العدوان التي تبنتها قمة الخرطوم ١٩٦٧، هي التي سادت حرب الاستنزاف البطولية على الجبهة المصرية، وهي التي وفرت عوامل كثيرة للانتصار في حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة.

ها نحن نقترح على زعماء الأمة، وهم يتنادون لعقد قمتهم العربية بالقاهرة أن يدرسوا ملفات قمة الخرطوم، وأن يستلهموا روحها وأن يستعيروا منها السمو فوق الخلافات والتنازل عن الحساسيات العربية وأن

بأخذوا منها العنوان الرئيسي تحدي كسر الإرادة العربية ورفض إيقاع الهزيمة في النفوس العربية، بعد أن ضرب أطفال الحجارة وشباب انتفاضة الأقصى، النموذج والمثل في تحدي آلة الحرب الجهنمية الإسرائيلية واستراتيجيتها في فرض روح الهزيمة!

وأثق أنه لن يغيب عن فطنة قادتنا العرب جميعا، أن قمتهم الجديدة التي ستنعقد للتعبير فقط عن تضامن القادة مع الشعوب العربية، في رفض العدوان الإسرائيلي الأخير وشجبه وإدانته عبر بيان تاريخي نعرف مسبقا مفرداته وصياغاته المشهورة.

ولكنها قمة تتحد لتواجه مجموعة مترابطة من التحديات والمشكلات، بل الأزمات الحادة التي اصطبغت بالدماء الحارة وأول التحديات أنها يجب أن تواجه انفلات العدوان الإسرائيلي الوحشي على الشعب الفلسطيني أفراده ومؤسساته وبنيته الأساسية التي مازالت هشة، وثاني التحديات ضرورة مواجهة المتغيرات الضاغطة بقوة خصوصا في ظل انفلات العدوان الإسرائيلي على مستقبل عملية التسوية، التي تسمي عملية السلام، بعدما كانت القمة عام ١٩٩٦ قد تبنت مبدأ السلام خيارا استراتيجيا للعرب لن يغيب عن فطنة زعمائنا وقادتنا خلال قمتهم أن يراجعوا بدقة، ملفات هذا الخيار الإستراتيجي، هل تحقق ولو جزئياً، هل تقدم للأمام أي هو ترجع للخلف، ومن السبب الذي أجهض خيار السلام أطفال الحجارة كما تقول أمريكا على لسان السيدة مادلين أولبرايت التي كانت وزيرة خارجيتها: إن عصابات الشوارع التي أطلقها عرفات هي التي تثير العنف والتوتر وتهدد بعرقلة السلام أم أن السبب طرف آخر.

ولعل الحقيقة الواضحة التي يعرفها الجميع الآن، القادة العرب والقادة الأمريكيون على السواء، أن فشل قمة كامب ديفيد الثانية في فرض

مشروع الاتفاق الأمريكي - الإسرائيلي، الذي وضعه كلينتون وباراك، وفي إجبار الرئيس عرفات على تركيعه، قد أصاب الإسرائيليين خصوصا بإحباط وارتباك شديدين، بعدما كان رهانهم يقترب من الربح!

ولذلك فقد عاد باراك من كامب ديفيد، وفي جعبته مشروع بديل لفرض إرادته على الفلسطينيين، فوق الأرض، وإعادة خلط كل الأوراق، وهدم جميع المعادلات، التي كانت التسوية تجري في ظلها منذ توقيع اتفاق أوسلو الأول عام ١٩٩٣ برعاية أمريكية.

باختصار شديد، أستبق باراك القمة العربية المنتظرة، مستغلا فشله في قمة كامب ديفيد الثانية، لخلط الأوراق وهدم المعادلات عبر طريقين متكاملين، هدفهما كسر إرادة الطرف الفلسطيني والعربي، وهما.

أولا : هدم معادلة وجود السلطة الفلسطينية، فوق أرض فلسطينية، ليفقدها شرعية الوجود داخل فلسطين، فأطلق دباباته وطائراته وبوارجه، وعلى متنها وحوش النازية وتلاميذها، يقتلون الأبرياء العزل بلا تفرقة بين طفل وامرأة ورجل ويدمرون البنية الأساسية التي أقامتها السلطة الفلسطينية فوق أرضها طوال السنوات القليلة الماضية، من المستشفيات والمدارس، ومن مراكز الشرطة إلى مبنى الإذاعة، مرورا أي بالطبع بقصف مقر الرئاسة الفلسطينية انتهاكا للرمز وتحديا لفكرة سيادة السلطة وكرامة رئيسها!

ثانيا : تخطي أزمته الداخلية، بعدما تآكلت أغلبيته البرلمانية، منذ انسحاب أهم حلفاء ائتلافه الحكومي، وأثبتت ممارساته السياسية، أنه رئيس وزارة ضعيف أحمق قليل الخبرة، يتخفى في زي جنرال المؤسسة العسكرية الباطشة، التي لا تجيد إلا لغة القوة!

استغل باراك طريقته الأولى في إطلاق وحش العدوان ضد الفلسطينيين - سلطة وشعبا - لاستقطاب حلفاء جدد ينقذون حكومته من الغرق، وهل هناك أقوى من تكتل الليكود اليميني المتطرف، وعلى رأسه الجنرال شارون، رمز الهمجية العنصرية ضد العرب، ليكون شريكه في الحكم، المرشح لدور رئيسي، هو الإجهاز على ما يسمي مسيرة السلام ومفاوضات التسوية!

هكذا نجح باراك في الهروب إلى الأمام من أزماته، الوزارية الداخلية، والسياسية التفاوضية مع العرب عموما، والفلسطينيين خصوصا! وهكذا أيضا ناور فأطلق غلالات كثيفة من النار والدخان، للتشويش على القمة العربية وإزاغة أبصار قادتها وعرقلة اتخاذهم لقرارات صارمة ضد هذا السيرك السخيف، الذي يجمع ما بين التصعيد الصكري والتصعيد السياسي، وكلاهما رمز للتطرف والضغط والابتزاز، والهدف النهائي فرض سلامة الإسرائيلي، على الفلسطينيين والعرب جميعا في مظاهرة من الإخضاع والإذلال وكسر الإرادة وتصفية الهزيمة!

من جانبنا، نثق ثقة كاملة، في أن قادتنا الذين سيجتمعون قريبا، يعرفون طبيعة هذا السيرك السخيف وبطله البهلوان المغامر القصير المكير، لكن قادتنا مطالبون، ليس بمجرد فضح السيرك وبهوائه، ولكنهم مطالبون بموقف جدي وصريح ومحدد، لوقف هذا التلاعب بمستقبل العرب والمنطقة، باسم التسوية ومفاوراتها الفاشلة حتى الآن برعاية صديقتنا وحليفتنا أمريكا.

فإن كانوا قد أظهروا خلال قمتهم عام ١٩٩٦، كل حسن النيات تجاه السلام وأنه خيارهم الاستراتيجي، فإن المطلوب منهم خلال قمتهم عام ٢٠٠٠، أن يظهروا رفضهم القاطع لاستغلال موافقتهم السابقة على السلام

خياراً استراتيجياً، لاستنزاف القوى العربية وابتزاز الأطراف المفاوضة، وفرض الإذلال على العروبة كلها بقوة الدبابات، كما جرى الحال في فلسطين أخيراً، وكسر الإرادة العربية جملة وتفصيلا وإهدار حقنا التاريخي والديني والحضاري في القدس.

ولن نقول إن المطلوب من قادتنا الكرام، إظهار العين الحمراء لإسرائيل وحليفتها الاستراتيجية أمريكا، حتى لا نطفي الفرصة لأنصار التطبيع والسلام برفع الاتهام الجاهز بأننا من أنصار الحرب للحرب، فقط نقول إن المطلوب من قادتنا وقفة حاسمة تعيد وضع الأمور في وضعها الطبيعي، توقف هذا الإذلال الصهيوني والاستهتار الأمريكي بكل المصالح والأهداف والمواقف العربية، التي لو اجتمعت حتى على الحد الأدنى لكان لرأيها الوقع الأكيد والتأثير المفيد، الذي يردع العدوان ويوقف الاستهتار فهل نتوهم كثيرا، إن طالبنا القمة العربية لهذا الحد الأدنى من تحديد المواقف!

بقي أن نصارح قادة القمة العربية المقبلة بعد ساعات، بالوجه الآخر للأزمة الحادة الراهنة، الذي يضع أمامهم تحديات أخرى، يمكن وصفها بأنها تحديات داخلية، جاءت في الحقيقة انعكاسا للتحديات الخارجية، التي فجرها العدوان الإسرائيلي والانحياز الأمريكي!

لقد فجر الغضب الشعبي العارم طوال الأيام الماضية، في الشارع العربي، طاقات هائلة من الرفض وشحنات التمرد على الأوضاع القائمة، وصولا إلى العنف الملحوظ وبقدر ما كان العدوان الإسرائيلي والانحياز الأمريكي له، هو ملجر هذا الغضب والعنف والتمرد، بقدر ما عكس ذلك كله الحالة الحقيقية لعدم الرضا في المجتمعات العربية، بل لعدم الاستمرار في

الصمت والاستسلام لفرض الأمر الواقع من أعلى إلى أسفل دون فرصة للمشاركة أو المشاورة أو حتى التعقيب!

ونعتقد أن الشارع العربي، لم يشهد طوال السنوات الماضية، تظاهرات رفض وتظاهرة تمرد، مثل تلك التي وقعت ومازالت، مصاحبة لانتفاضة الأقصى ومساندة الشعب الفلسطيني واستنكار للصمت العربي، وإدانة لدعوات الاستسلام التي تطلقها جماعات السلام وتحالف كوبنهاجن ومنظمات التطبيع، بحجة الرضا بما هو معروض، والقبول بالأمر الواقع وعدم استفزاز اليمين الإسرائيلي.

ملحوظة هامشية:

هل مازالت جماعات التطبيع في بلادنا مصرة على عقد مؤتمر تحالف كوبنهاجن في إسرائيل خلال شهر نوفمبر المقبل، بعد كل ما جري، من عدوان بشع في ظل صمت أصدقائهم جماعات السلام الآن الإسرائيلية بل في ظل صمتهم هم.

إن من حق القادة العرب علينا، أن نصارحهم بكل الصدق والأمانة أن انتفاضة الأقصى المقموعة بعدوان إسرائيلي همجي نازي، كانت وستبقي لحظة فاصلة، ليس فقط في مسارات التسوية والسلام، ولكن أيضا في مستقبل الحكم في البلاد العربية، وتحديداً في صياغة العلاقة بين الشعوب والحكام.

من حق القادة العرب علينا، أن نقول لهم إن الغضب والرفض الذي ساد الشارع العربي، ضد العدوان الإسرائيلي النازي طوال الأيام الماضية بما صاحبة أحيانا من مظاهر عنف قد يتجه إلى الداخل إن هو أصيب بالإحباط واستمرار الانكسار والشعور بالهزيمة، سواء نتيجة لاستمرار

الفطرسة الإسرائيلية والضغط الأمريكي أو سواء لقرارات من القمة العربية لا ترقي إلي مستوي توقعاته المعقولة.

ذلك أنه من الخطر والخطأ الجسيمين، الركون إلي تلميرات وتبريرات ثلاثة الدعاية الرسمي، بأن هبة الشارع العربي الغاضبة سرعان ما تهدأ، وسرعان ما ينسي الناس، وفقا للقاعدة الخالدة القائمة علي نعمة النسيان.

نحسب أن قادتنا العرب، يدركون معنا أن ما جري هذه المرة مختلف بشدة وقوة وعمق عن سوابقه فما جري في ظل انتفاضة الأقصى، زرع في نفوس الكافة مرارة وثورة وثأراً لن يزول بفضل نعمة النسيان هذه، ولعل ما وقع في اليمن قبل أيام، بشكل مجرد إشارات عاجلة وتحذيرات سريعة، لا يمكن لأحد أن يتنبأ بمستقبل تطورها أو تدهورها.

نعرف أيضا أن قادتنا العرب، وهم يستعدون لاجتماع القمة بعد ساعات في وضع أفضل من أوضاعنا، من حيث توافر المعلومات والحقائق، والتحليلات والتفسيرات وبالتالي فهم الأقدر بحكم مسئولياتهم أيضا علي قراءة الواقع واتخاذ الموقف الذي يتوافق مع مطالب شعوبهم.

لكننا نعرف قبل ذلك وبعده أن نبض الشارع وضمير الأمة الذي يتألم ويعاني ويتأسي ينتفض ويثور ويرفض وينتظر منهم ألا يكسروه، بل يناصروه، بأن يعيدوا بناء التضامن العربي وأن يضعوا استراتيجية جديدة للمستقبل، توظف كل الإمكانيات المادية والبشرية والمعنوية توظيفا علميا سليما، وبأن ينلتحوا علي ضرورات التغيير والتحديث الديمقراطي الذي بات مطلب الشعوب الأول، وأن يقبلوا التحدي الذي فرضه باراك وشارون، ودنسا خلاله قدسية الأقصى وانتهكا مقدسات محمد والمسيح جهاراً نهاراً، بينما اليمين المسيحي الصهيوني الأمريكي يضغط ويهدد ويتوعد.

ندرك أخيرا أن قادتنا يدركون مثلنا، أن أسوأ ما فينا، هو أننا نختلف فنفترق عند الشدة، عكس إسرائيل التي سرعان ما تتوحد في مواجهة الشدة وهذا هو الفرق.

خير الكلام يقول المتنبي:

فحب الجبان النفس أورده التقي *** وحب الشجاع النفس أوردة الحربا

وماذا بعد المؤتمرات

في أكتوبر ١٩٩١ عقد في طهران مؤتمر لدعم الانتفاضة الفلسطينية، ثم عقد مؤتمر لنفس الموضوع وفي الدول نفسها وأشرف عليه نفس الأشخاص الذين تولوا مؤتمر ١٩٩١ وأذكر أن القادمين كان في استقبالهم مهدي كروبي الذي كان رئيسا للبرلمان آنذاك، وهو نفسه رئيس البرلمان الحالي الذي استقبل المشاركين وهكذا نلاحظ أن السنوات العشر الماضية لم تغير من الطرح الإسلامي، في جانبه الإيراني بخصوص القضية الفلسطينية مع أن أمورا كثيرة قد تغيرت ومنها بالطبع أسلوب الانتفاضة وتأثيره على الدول المحيطة.

من ناحية أخرى فإن مؤتمر طهران ١٩٩١ كان هدفه تطويق ما سيواجهه العالم الإسلامي من جهة، ومواجهة المرحلة اللاحقة لخوف قاتل آنذاك من مؤتمر مدريد من جهة أخرى، وواضح آنذاك أن الفعل الإسلامي رغم نقائصه كان سباقا أما المؤتمر فقد سعى إلى جعل القضية الفلسطينية أولوية بالنسبة للحكومات والشعوب، مع أن منظموه يدركون جيدا أن الأمر ٢٠٠١ كله يتعلق بالحكومات وليس بالشعوب ونظرا لهذا السعي فقد جاءت نتائجه أقل مما كان منتظرا أو هي كما جاء على ألسنة المراسلين تقديم وعود في صياغات الخطاب المندد والشاجب الذي لا يصعب في الغالب بنتيجة وأتصور أن مؤتمر طهران مع التراض حسن النوايا والأهداف يعتبر صفقة رابحة للشعب الفلسطيني خاصة وشعوب العالم الإسلامي عامة خلال فترة لم تتجاوز ثمانية أشهر وبالطبع هي زمانيا طويلة بالنسبة للآمال التي عقدت عليها.

لقد جاءت الصفقات الأربع متتالية بدأت الأولى بمؤتمر الدول العربية في القاهرة، والذي جاء بضغط من الشارع، ثم اتبع بصفقة أخرى في مؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي في الدوحة والثالثة ما تزال آثارها إلى الآن وأقصد بها ما حصل في مارس الماضي خلال قمة عمان، وآخرها مؤتمر الانتفاضة في طهران، أقول هذا وأنا أتحدث عن الظاهر في تلك القمم وهو خاص بالسياسة المعلنة في الوطن العربي والعالم الإسلامي وتبعا لذلك فإن حديثي هنا لا يحاول التوغل للعمق للبحث في باطن تلك السياسة التي أتمنى أن يكون لها باطن على غرار كثير من أطروحات الفلسفة العربية الإسلامية، أي إنني على نحو آخر، تحملني الأمنيات إلى الاعتقاد بأن هناك مصلحة للفلسطينيين متمثلة في الدفاع عن قضيتهم من طرف قيادات نجملها نحن تلك إن وقعت أو إن كانت ملتزمة الخفية باعتبارها سرا فإنها تشفي صدور المسلمين عامة.

الحديث هنا ينقلني من العام إلى الخاص، فعلى المستوى الشخصي تابعت على الفضائيات ومن خلال الصحف الخطاب الدائر في مؤتمر طهران أملاً في حدوث تغير في العالم، وقد سولت لي نفسي القول مرات إن الدعوة من المؤتمرين لإنشاء جيش إسلامي هي بداية حقيقية لفعل ما. لكنني اكتشفت أن ذلك مجرد وهم لأن الذي يقوم بالفعل لا يتحدث عنه في الغالب ثم عن أي جيش إسلامي نتحدث ومعظم الذين رفعوا هذا الشعار ليسوا من دول المواجهة. طبعا التفاعل يستثني من هذا حزب الله والفلسطينيون وما يضاف إلى هذا أن تلك الادعاءات هي لصالح إسرائيل حيث ستلقي الدعم الفوري غير أنه مهما يكن انتقادنا لهذا المؤتمر فقد قدم دعما معنويا للانتفاضة من ناحية إعادة التذكير بها خارج نطاق المشاهد إلى التفاعل معها.

وبعيدا عن نتائج المؤتمر، فإن هناك سؤالا طرحته علي المنظمين لمؤتمر ١٩٩١ في طهران نصه لماذا اخترتم ممثلي البرلمانات؟ وكانت الإجابة وقتها أن البرلمانيين يمثلون حلا وسطا بين الحكومات والشعوب ذلك لأنه يتعذر دعوة الشعوب الإسلامية، وفي الوقت ذاته نرفض دعوة الحكومات هذه الإجابة تبدو منطقية ومقبولة وأعتقد أنها الإجابة نفسها للسؤال السابق بخصوص مؤتمر ٢٠٠١ غير أنه مع ذلك كله، هناك قضية أهم، من التمثيل في المؤتمر السابق وتتعلق بشرعية الحاضرين أنفسهم وهنا تظهر مشكلة الشرعية في العالم الإسلامي.

يلاحظ أن معظم برلمانات العالم الإسلامي لا تمثل الشعوب وإنما هي أجهزة تبرر أخطاء الساسة، في الغالب بما تقدمه من صياغات قانونية تريدها الوزارات والرئاسة، وفي أحسن الحالات، هي مواقع للصراعات بين مجموعات مختلفة وينطبق هذا علي إيران نفسها وإذا سلمنا بالقاعدة القانونية أن (ما بني علي باطل فهو باطل) فإننا ننتهي إلي القول إن ممثلي البرلمانات الإسلامية غير شرعيين.

أولئك يدركون مقدرات دولهم وبما أنهم علي النحو السابق فقد التقوا في طهران ليجامل بعضهم بعضا، وقد قدموا خطابا استهلاكيا كشف عن حال الوهم عندهم لكونهم تجاوزوا الواقع السياسي، وبعض الدول التي شاركت في المؤتمر وتحمست لخطابه تعمل لتكريس الوجود الإسرائيلي، ولولا أن أولئك الذين يستشهدون في فلسطين لا ينتظرون موافقة أحد لتوقفت الانتفاضة لهذا فإن السير علي طرفي نقيض لا يزيد الأمور إلا تعقيدا لأن ممثلي الشعوب الإسلامية هم مثل كثير من القادة لا تأثير لهم. وهناك خلفية للشرعية في حالتنا هذه تعتمد علي القوة أو القانون.

إن أولئك الذين اجتمعوا في طهران لأجل الانتفاضة، لا يتحملون مسؤولية ما يقولون باستثناء حزب الله الذي أكد أمينة العام على الجهاد والمقاومة بقوله إننا سنأتي إسرائيل من حيث تحتسب ومن حيث لا تحتسب وهو خطاب بليغ لقائد ميداني يلتزم حزبه بما يقول وباختصار فهو يملك شرعية الفعل في حين لا يملك الذين حضروا معه شيئا ولذا فإنهم كمثل الذي يدعي تقديم حل لأزمة هو لا يعرف خلفياتها أو غير مؤمن بضرورة حلها.

بعد هذا كله ينتابنا خوف شديد من المرحلة القادمة قياسا على الماضي، فها نحن بعد عشر سنوات نتحدث بلغة سياسية سابقة عن مرحلة مديد، والذين تابعوا تصريحات مختلف قيادات الفصائل الفلسطينية يدركون أن الزمان عندها متأخر بعشر سنوات إذ رغم ما يحدث الآن وما قامت به السلطة الفلسطينية سواء من إنجازات أو تراجع، فإنه ما كان للإنتفاضة أن تكون على هذا المستوى لولا أن هناك أرضاً للفلسطينيين. والقول إن الانتفاضة الأولى حققت نتائج أكبر هو نوع من التبخيس للعمل الوطني الفلسطيني ويبقى القول إن دعم الانتفاضة لا يقوم على أساس البحث في أخطاء الماضي، ولكن في دعم خطط الحاضر، وما دام مؤتمر طهران قد اعتمد على أولئك الذين لا يملكون شرعية في الواقع فليكن الحديث مع القيادة الفلسطينية أي ليس الأفضل دعمها وتأييدها؟ بدل مواصلة انتقادها.

ذكرى غفل عنها المسلمون وتذكرها الأوروبيون

٩٠٠ عام على سقوط القدس في أيدي الصليبيين

حلت أخيرا ذكرى مرور ٩٠٠ عام على سقوط مدينة القدس في أيدي الصليبيين حيث بدأ حصارها في ٧ يونيو وسقوطها تم في ١٥ يوليو عام ١٠٩٩م، وللأسف الشديد تجاهلها أو غفل عنها الجميع في بلادنا بينما نحن أحوج ما نكون لأن نستعيد كل وقائعها وتلصيلاتها لأن الليلة أشبه بالبارحة حيث الذي حدث قبل تسعة قرون يتكرر اليوم جملة وتلصيلا.

ومن عجب أن الأوروبيين تذكروا ما نسيناه، فمازالت دور النشر عندهم تصدر كل عام مؤلفات لم يمل أصحابها من تقليب أوراق الحروب الصليبية وتمحيص ملابساتها وتحقيق أسبابها ونتائجها حتى يمكن الوصول إلى القدس. وقد يمثل جماعة مسيحية بروتستانتية أطلقت على نفسها أو على مهمتها اسم مسيرة المصالحة وهي المسيرة التي استمرت ثلاث سنوات طاف الوفد خلالها بالمناطق التي مرت بها وخربتها الجيوش الصليبية من مدينة كولونيا الألمانية خرجوا وزاروا تركيا ولبنان وسورية والضفة الغربية قبل أن يصلوا إلى مدينة القدس وحيثما ذهبوا قابلهم القائمون بالرموز الدينية للتعبير عن أسفهم واعتذارهم عما فعله أسلافهم الذين خانوا المسيح ومارسوا فظائع شوهت اسمه عليه السلام وكانت بالتأكيد ضد رغبته كما ذكر المتحدثون باسمهم.

ذاكرة مفقودة

والمرء يحار في تفسير الغيبوبة المخيمة علي عالمنا العربي الإسلامي التي تلمي الذاكرة وتسقط الوعي بالتاريخ أو في أحسن الفروض تخضع استعادته للانتقاء والهوى كما يري المفكر الإسلامي الأستاذ فهمي هريدي ذلك أن أمة بلا ذاكرة أمة بلا مستقبل والحفاظ علي الذاكرة ليس بالضرورة استغراقا للماضي أو استدعاء له وإنما هو ضروري للقبض علي الجذور واستيعاب التجارب والتسلح بالإدراك والخبرة التي تؤسس قاعدة مواتية للانطلاق نحو المستقبل ونزع صفحات التاريخ أو العبث بها هو الطريقة التي تمهد إلي التيه والضياع الذي يقود إلي الإقتلاع في نهاية المطاف.

كان من المفروض أن تقف أمتنا أمام هذه الذكري وقفة طويلة وجادة تستعيد فيها وقائع ما جري قبل تسعمائة عام، فيعرف الجميع لماذا سقطت القدس وكيف أقام الأوربيون مملكتهم علي أرضها وماذا افعلوا باصحاب الأرض الأصليين ثم كيف استرد العرب والمسلمون المدينة من مغتصبيها فمسحوا دموعها وبددوا أحزانها وأعادوا إلي وجهها الصبوح بسمته بعد غياب دام ٨٨ عاما. كان من المتوقع أن تركز أمتنا في خطابها السياسي والإعلامي والثقافي علي هذه المعاني طوال هذه الأيام منتهزة هذه الفرصة لاستحضار قيمة ومكانة القدس بتاريخها العريض وإذكاء الوعي بها وإحياء الأمل في إمكانية استردادها وتنبيه أبنائها إلي اشتراط ذلك الاسترداد وتجديد الثقة في قدرة وعزائم شبابنا علي الوفاء بمسؤوليات تحقيق الهدف المنشود.

التعصب الديني

وفي الوقائع التي حدثت منذ تسعمائة عام الكثير الذي ينبغي أن يتذكره ويعتبر منه أولوا الألباب حتى يمكن أن يمنحها الثقة في النفس والأمل في المستقبل فبعد انقضاء أكثر من ستة قرون علي دخول المسلمين بيت المقدس وإعطائهم للمسيحيين العهد العمرى زحفت جموع الصليبيين من أوربا تثير حميتهم خطب البابا في اجتماعات مسيحية حاشدة ويتقدمها رهبان ونساك بدفعهم حماس ديني متعصب.

عقد البابا أوربان الثاني مؤتمرا في كليرمونت في فرنسا وخطب في الناس خطابا أثار مشاعرهم متحدثا عما يلقاه الحجاج المسيحيون من عسف أولئك المسلمين الذين يحكمون بيت المقدس وفيها قبر المسيح ويحكمون فلسطين وفيها بيت لحم حيث ولد المسيح فسالت الدموع وتعالت الآهات وراح الناس يقسمون أن يهبوا لتحرير تلك الأماكن المقدسة من أولئك المسلمين وراح البابا يعد أولئك الذين نذروا أنفسهم لاسترداد القدس اسخي الوعود ووعد كل من يترك أهله وبلده ويمضي علي وجهه قاصدا القدس صكا من صكوك الغفران وكان المسيحي حينذاك يعتقد أنه إذا حصل من البابا علي صك مختوم بختم الكنيسة غفرت ذنوبه وضمن جنة المقيم وأصدر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥ قرارا بإعلان الحرب الصليبية وتحركت الجموع الهائلة آلافا من الرجال والشباب ومن الشيوخ والصبيان وحتى من النساء وتقدمهم نفر من القدس والرهبان.

ولكن لماذا فكر البابا وفكر ملوك أوروبا وأمراؤها وفرسانها في القيام بالحروب الصليبية بعد أن انقضي أكثر من ستة قرون علي دخول المسلمين بيت المقدس وعلي فتح فلسطين والشام.

ولماذا لم يفكر الأوروبيون المسيحيون في استرداد بيت المقدس من أيدي المسلمين طوال تلك القرون الماضية؟ ولماذا قاموا الآن يحملون السلاح ويقطعون الآفاق قاصدين بلاد المسلمين بعد أن استقر فيها الإسلام أجيالا تلو أجيال وبعد أن صارت القدس مدينة إسلامية خالصة وإن ظلت أبوابها مفتوحة تستقبل الحجاج من المسيحيين هل كانت الكنيسة المسيحية راضية بذلك الوضع طوال هذه القرون ثم استيقظت فجأة على صيحة من البابا أوربان الثاني في سنة ١٠٩٥م فقرر المسيحيون الأوربيون أن يزحفوا بجموعهم وأسلحتهم ليستردوا ما ضاع منهم منذ أمد بعيد؟ لا. إن المسيحيين وكما يري الأستاذ عبد الحميد الكاتب في كتابة (القدس) لم يكونوا قد نسوا بيت المقدس منذ الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهم قد رحبوا بالفتح الإسلامي في أول الأمر ليخلصهم من حكم الرومان وطغيانهم ومظالمهم ورأوا في عمر بن الخطاب وفي العهد العمري الذي أعطاه لهم صورة عظيمة من التسامح الديني ومن العدالة والاستقامة وبقيت كنائسهم محفوظة مفتوحة لصلاتهم وحجهم ثم مضي الزمن قليلا وراح المسيحيون يتطلعون إلي استرداد بيت المقدس من المسلمين ولكن أني لهم هذا وقد ظل المسلمون دهرا طويلا أقوياء أشداء، لا تقدر عليهم ولا تطمع فيهم أي من القوي الأجنبية فإن قوة المسلمين ووحدتهم وتماسكهم تحت خلافة إسلامية مسيطرة. تمكن المسلمين من الاحتفاظ بكل أرض فتحوها في صدر الإسلام بفلسطين وبالشام وبالعراق وبفارس وبمصر بل مكنهم أيضا من الانتشار فيما وراء هذه البلاد من آفاق مترامية حاملين راية الإسلام ليرفعوها فوق بلاد أخري من أقصى أسبانيا والبرتغال وفي أقصى الشرق في الهند والسند وتخوم الصين وفي الشمال

حيث كادوا يفتحون القسطنطينية ويقضون علي ما تبقي من الإمبراطورية الرومانية الشرقية في عهد عمر بن عبد العزيز.

ضعف وتخاذل

ثم دار التاريخ دورته وجاء عصر الضعف والتفكك والتخاذل وانقسم آنذاك العالم الإسلامي الموحد إلي دويلات وإمارات كثيرة وكانت هناك سلطنة العراق وسلطنة الشام وسلطنة حلب وسلطنة اصفهان وسلطنة خراسان وأخذت هذه الدويلات يكيد بعضها لبعض وتنشب بينها معارك القتال وأخطر من هذا ظهور الدولة الفاطمية شيعية المذهب ممتلئة بالحركة والحيوية فلا تكتفي بأن تحكم مصر وما وراءها من بلاد المغرب العربي الإسلامي ولكنها تتطلع أيضا إلي الشرق الإسلامي تريد أن تفتحه.

من عجب أن الأوروبيين تذكروا ما لديهم ولم يعلموا من تقليب أوراق الحروب الصليبية:-

وتبسط عليه سلطانها مستعينة بالفرس الذين نبتت منهم جذور الحركة الشيعية ومستخدمة من في الشام والعراق من دعاة الشيعة وفي خضم هذه الخلافات وما صاحبها من معارك ظهرت جماعات دينية تعتنق مذاهب غريبة وتفرض نفسها علي المسلمين وتحكمها شرا وإرهابا فهناك القرامطة يحكمون الجزيرة العربية من مكة والمدينة إلي المناطق التي تمتد علي الخليج العربي وهناك جماعة الباطنية وتشتهر فرقها المعروفة بالفرق الحشيشية أو الحشاشين وقد سيطرت علي بقاع كثيرة من بلاد الشام وصارت لها قلاعها وحصونها ولها أيضا فرقها الإرهابية التي اغتالت عددا لا يحصي من الأمراء والسلاطين وانقسم العالم الإسلامي بل انشطر انشطارا خطيرا وتجسم هذا في الصراع والقتال الذي عم الساحة الإسلامية

وبخاصة بين دولة السلاجقة ودولة الفاطميين وهو صراع بين قوتين سياسيتين عسكريتين تريد كل منهما أن تقهر الأخرى وأن تفرض زعامتها على العالم الإسلامي كله بينما هناك قوة أخري من الغرب تري أن هذا الانقسام وهذه الفوضى في العالم الإسلامي هو الذي يفتح لها الطريق إلي بلاد المسلمين ولهذا بدأت الحركة الصليبية متزامنة تماما مع حال الضعف والتخاذل وموجات الفوضى والاضطراب التي غمرت العالم الإسلامي شرقا وغربا.

مذابح بشعة

فالحرب الصليبية بدأت عندما تحولت الدولة الإسلامية الواحدة إلي كثير من الدويلات والإمارات فصار المدينة الواحدة دولة وصار الإقليم الصغير دولة وصارت الغارات والمعارك بين هذه الدويلات الصغيرة هي محور حياة الحكام وهي أيضا مصدر مشكلات هجومهم.

هذا التفكك اتضاه في نهاية القرن الخامس الهجري أو نهاية القرن الحادي عشر الميلادي وعندئذ قامت فكرة الحرب الصليبية وبدأت جموع الصليبيين وجيوشهم تزحف إلي الشرق ووقعت معارك كثيرة بين المسلمين المدافعين والصليبيين المهاجمين وقد انتصر المهاجمون في كل معركة تقريبا وانهزم المدافعون في كل معركة تقريبا وكانت المدينة الإسلامية أو الدولة الإسلامية لا تصمد أكثر من أيام أو أسابيع أو بضعة أشهر قلم يمض أكثر من أربع سنوات منذ أطلق البابا صيحته إلي الحروب الصليبية إلي يوم أن دخل الصليبيون مدينة القدس.

لقد وصل الصليبيون إلى أسوار مدينة القدس في السابع من يونيو عام ١٠٩٩م ودام حصارهم لمدينة نيفا أربعين يوما، كما ذكر ابن الأثير وظلوا يشددون الهجوم يوما بعد يوم على جند المسلمين إلى أن أقاموا برجين يطلان على سورها أحدهما باب صهيون والآخر بباب العمود وقد أحرق المسلمون البرج الأول وقتلوا من فيه أما البرج الثاني فقد زحف به الصليبيون حتى ألصقوه بالسور وكشفوا من كان عليه من المسلمين ثم رموا بالمجانيق والسهام رمية رجل واحد فانهزم المسلمون كما ذكر المؤرخ أبو المحاسن صاحب النجوم الزاهرة.

حدث الهجوم الشامل الذي قام به الصليبيون ليلة ٤ يوليو ١٠٩٩م ثم اشتد الهجوم واتخذ طابعا عنيفاً صباح اليوم التالي ١٥ يوليو الذي كان يوم جمعة وبعد الظهر نجحوا في اقتحام المدينة وفر الجنود الذين كانوا يدافعون عنها للاحتماء بالمسجد الأقصى فتبعهم الصليبيون واقتحموا المسجد أحدثوا بداخله مذبحة وحشية حتى كانوا يخوضون إلى سيقانهم في دماء المسلمين.

وفي الحال انتشر الصليبيون داخل المدينة وسارعوا إلى فتح باب العمود لكي يدخلوا منه بقية الصليبين واتجه آخرون لاحتلال قبة الصخرة التي كانت مخبأ بما فيها من تحف ثمينة فنهبوها عن آخرها لم يتم استيلاؤهم على المدينة دون مقاومة فقد صادفوا مقاومة شديدة في قطاعها الجنوبي ولكن لم يقدر لها أن تستمر أما افتخار الدولة حاكم الدينة الفاطمي فقد احتمى مع طائفة من جنده بمحراب داود حيث اعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام لكنهم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح بعد أن بذل لهم الفرنج الأمان وأطلق الصليبيون سراحهم وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان فكانوا الفئة الوحيدة من بيت المقدس التي نجت من وحشية الصليبيين وهم الذين لم

يتركوا مسلما في الطرقات أو في البيوت أو المساجد إلا وقتلوه واستباحوا دمه دون تفرقة بين رجل وامرأة وشيخ أو طفل لم يرع الصليبيون حرمة المسجد الأقصى بل أجهزوا على كل من احتمى به من المسلمين وعددهم أكثر من سبعين ألفا منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وزهادهم الذين جاوزا من أنحاء العالم الإسلامي لكي يجاوروا المسجد الشريف.

لقد كتبوا إلى البابا في روما رسالة سجلها المؤرخون المسيحيون في كتبهم، وقالوا فيها إن جنودنا كانوا يخوضون بسيقانهم حتى الركب في دماء المسلمين وقال المؤرخ الصليبي المشهور وليم الصوري وكان بيت المقدس مخاضة واسعة من دماء المسلمين.

واعتصمت جموع المسلمين في مسجد عمر رضي الله عنه وقد سجل ا!د الكهنة المسيحيين ما رآه مثالا لقد أفرط قومنا في سفك الدماء وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث اقتطعت منها.

أما المؤرخ المفكر الفرنسي غوستاف لوبون فقد قارن في كتابه "حضارة العرب" بين فتوح العرب في صدر الإسلام وبين الحروب الصليبية حيث قال العرب الذي خرجوا من الصحراء أعطوا المسيحيين في القدس العهد العمري المشهور الذي تعهد فيه المسلمون بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومقدساتهم وأما الأوروبيون فكانوا يجوبون الشوارع ويصعدون إلى سطوح البيوت ليرووا غليلهم بالتقتيل وكأنهم ذبوات خطفت أطفالها وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربا أربا وكانوا يشنقون مجموعة من الناس بعضهم أمام بعض بحبل واحد بغية السرعة وقد أمر الأمير بوهيموند بإحضار الأسرى إلى برج النصر فأمر

بضرب رقاب الشيوخ والعجائز والضعاف أما الشبان والرجال فقد سيقوا ليباعوا في سوق الرقيق.

أن قراءة ما كتب عن الحروب الصليبية سواء ما كتبه المسلمون أو ما كتبه المسيحيون يؤكد أن ما دار في بيت المقدس حينذاك كان مذبحة شنيعة لا مثيل لها إلا المذبحة الصليبية الأخرى التي دارت في الأندلس ومن الصليبين من اشترك في المعركتين مثل رايمبرت الذي عين بطريقا للقدس مكافأة له على ما فعله في الأندلس حيث كان مندوبا بابويا في إحدى المعارك الكبرى.

التاريخ يعيد نفسه

لقد كان الانتصار أكثر كثيرا مما كان الصليبيون يتمنونه حين حملوا الصليب وحملوا السلاح وخرجوا من أرجاء أوروبا قاصدين بيت المقدس وصار واضحا أن أولئك الأوروبيين يسعون إلى أهداف تتجاوز كثيرا الهدف الديني المسيحي. يريدون أن يفتحوا الشرق ويحكموه ويستغلوا خيراته ويحتكروا تجارته ويتقاسمه أمراء أوروبا وحكامها فتكون أقطار الشرق امتدادا لممالكهم وإماراتهم في أوروبا وكان النزاع بين هؤلاء الأمراء والحكام الأوروبيين مستمرا مثلما صار النزاع فيما بعد بقرون عدة قائما بين الدول الاستعمارية التي تصارعت وتحاربت على اقتسام بلاد الشرق وأقطاره في العصر الحديث وكذلك كان نزاع وصراع بين الصليبيين القادمين من أوروبا وبين المسيحيين في الشرق الذين تمثلهم الدولة البيزنطية كل فريق يريد أن يوسع آفاق مملكته ومناطق نفوذه وسيطرته وكل فريق يريد مزيدا من أقطار الشرق يحكمه ويستغله.

وهكذا تحولت الحرب الصليبية إلي حرب استعمارية كتلك الحروب الاستعمارية في العصر الحديث وتحول مجري الحملات الصليبية التالية ثلم يعد متوجها إلي بيت المقدس وتدعيم النفوذ المسيحي فيه وفي أرجاء فلسطين والشام وإنما راح يتجه إلي مصر ويسعي إلي الاستيلاء عليها وإخضاعها للسيطرة الأوروبية والاستغلال الأوروبي.

ونشبت الحروب مرارا بين الصليبيين وبين حكام مصر مرة في العهد الفاطمي ومرات في العهد الأيوبي وانتصر الصليبيون وأنتصر حكام مصر أخيراً. إن دفة الأمور لم تتحول لصالح المسلمين إلا بعد قرن ونصف القرن من الزمان بعد ظهور ثلاثة رجال عظماء عماد الدين زنكي الذي مات شهيدا فخلفه نور الدين محمود الذي وضع الأساس فأقام عليه خليفته صلاح الدين الأيوبي صرحا شامخا حيث أمن هؤلاء العظماء الثلاثة بانه لا سبيل إلي التصدي للصليبيين ولا سبيل إلي تحرير بلاد المسلمين إلا إذا اتحد المسلمون جميعا وكانوا جبهة واحدة تتمثل في دولة واحدة دولة إسلامية تشمل العراق والشام وفلسطين ومصر والحجاز وحتى ما وراء هذا من بلاد المسلمين جميعا.

وانتهت الحروب الصليبية التي دامت قرنين من الزمان فقد بدأت علي وجه التحديد سنة ١٠٩٦ حين خرجوا من أوروبا ووصلوا إلي الشرق واستولوا بعد ثلاث سنوات علي بيت المقدس وأقاموا مملكة القدس الصليبية وانتهت عمليا سنة ١١٨٧ في معركة حطين التي قضي فيها صلاح الدين علي قوة الصليبيين ثم استرد بيت المقدس ولكن فلول الصليبيين في الشام وما جاءها من إمدادات ثم قواتهم التي غزت مصر مرتين أطالت أمد الحرب منه سنة أخري إلي أن نرجوا عن الشرق نهائيا سنة ١٢٩١م.

ثم مضت ستة قرون وأخذ الأوروبيون يعودون إلى الشرق في صورة جديدة هي صورة الاستعمار الأوربي.

وعندما شبت الحرب العالمية الأولى عادوا بجيوش الاحتلال ودخل الإنجليز بيت المقدس سنة ١٩١٤م وحمل الإنجليز معهم نذر الغزوة الصهيونية ومقدماتها وبعد ثلاث سنوات أصدرت حكومتهم وعد بلفور تتعهد فيه بمساعدة اليهود على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين ثم فتح الإنجليز أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ثم تم الغزو الصهيوني للعالم العربي ودخل الجيش الفرنسي دمشق وكان أول ما فعله قائد الجيش أن ذهب إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ووقف أمامه وقال لقد عدنا اسمعني يا صلاح الدين لقد عدنا.

صلاح الدين في القدس

وقالت حطين مرحبا يا صلاح الدين

بعد دخول الصليبيين القدس، وكان عددهم ٦٣ ألفا، وبعد أن استولوا عليها لتفريق المسلمين وضعف وحدتهم، وإثناء قوتهم عاشوا على هذا الأمل بعد هزيمتهم في معركة اليرموك التي جاءوا إليها من شرق أوربا متخذين الصليب شعارا لهم، فعندما دخلوها ذبحوا أعدادا كبيرة من الرجال والأطفال والنساء حتى إن دماء المسلمين كانت تجري في شوارع القدس مثل الأنهار هذا ما فطه الصليبيون عند دخولهم القدس لكن صلاح الدين كان رحيما بهم حين استعادها عام ١٢١١م وقد استقبله وقتها ٣٠٠ حاخام من بريطانيا وفرنسا.[1]

فبعد أن أستقل الصليبيون انقسام المسلمين إلى طائفتين واشتد الخلاف بين الفاطميين والسلاجقة، حاولوا اغتصابها في السابع من حزيران عام ١٠٩٩م فبعد كل هذه الصراعات والتخريب الذي حدث في القدس اشتاقت القدس إلى الإسلام فاستعد صلاح الدين وخرج بجيش في الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام ٥٨٣هـ، أي بعد دخول الصليبين بـ ٩٠ عاما واستطاع استعادة القدس وعقد معاهدة صلح مع الصليبيين بقيادة (بودوين) عام ١١٧٩م عند تل القاضي في سهل مرج عيون، وبعد أن مات القائد الصليبي وتولى بعده ريجنالد وكان معروفا عنه الكراهية للمسلمين ونقض العهود والهدنة وحاول الاستيلاء على الحرمين الشريفين ولكنه لم يستطيع تحقيق أحلامه ومطامعه بسبب قطع شقيق صلاح الدين عليه الطريق والوصول إليها، وهنا عرف صلاح الدين بما يدور.

١- فلسطين أيكم الحقيقة ص٧٤

وعرف أنه لابد من مواجهة الصليبيين ولابد من الاستعداد لمواجهتهم عند حطين بالقرب من بحيرة طبرية التي وقعت عندها أكبر معارك التاريخ التي وقعت عام ١١٨٧م وقد هزمهم صلاح الدين وشرد جيشهم وقتل منهم ٣٠ ألفا وأسر قادتهم، وفتح صلاح الدين العديد من المدن الإسلامية ودخل القدس يوم ١٢ تشرين الأول من نفس العام الموافق ٢٧ رجب ٥٨٣هـ، ويذكر أن هذا اليوم كان يوم جمعة، كما يذكر أنه من كان يري الأسري لا يقول أن هناك واحد، وإن من يري القتلى يقول إنه ليس هناك أسير، كما يذكر أن صلاح الدين بشر أهل القدس بالأمان والحرية، وإعلاء راية الإسلام، واتجه إلي المسجد الأقصى وقبة الصخرة.[1] وكان دائما يذكر جنده بالله وأرسل للصليبيين يقول لهم إنني مثلكم أقدس هذه المدينة وأعرف أنها بيت الله، وأنا لم آت هنا كي أقتل من قداستها أو أسفك الدماء، فإذا سلمتموها إلي فإنني سوف أخصص لكي قسما من خزانني وأمنحكم من الأرض ما تستطيعون أن تقيموا عليها من الأعمال، فرفض الصليبيون ذلك، فقال لهم لأفعلن بكم كما فعلتم بأهل القدس، كما أن التاريخ لم يذكر أن صلاح الدين لم يعتد علي كنيسة القيامة، بل رمم معالمها ورفض قتل أي فرد من الصليبيين إلا (أرناط) لأنه غدر ببعض الفرسان المسلمين وقتلهم في المسجد الأقصى وهكذا انتصر صلاح الدين في موقعة حطين، وصلي بها صلاة الجمعة الأولي يوم ٤ شعبان عام ٥٨٣هـ الموافق ١٩ تشرين الأول عام ١١٨٧م ثم مارس المسلمون الشعائر الدينية وأقاموا الصلوات علي هذه الأرض المقدسة، وعاد إلي الحق أصحابه علي يد صلاح الدين بعد أن علم الصليبيين درسا عصيبا وطردهم كما يذكر أن صلاح الدين خطب الجمعة وبدأها بقراءة الفاتحة وسورة الأنعام وسورة الكهف وسورة النمل.[2]

١- القدس بين الدين والتاريخ ص ١٣١ ٢- بدايات هذه السور

ثم صلي علي الرسول ﷺ وذكر المقاتلين المسلمين بصحابة رسول الله ﷺ في اليرموك والقادسية.[1] كما أن صلاح الدين عامل الصليبيين بالرحمة والرفق والتسامح رغم ما فعلوه بأهل القدس، وظل صلاح الدين يحب القدس ويعتز بفتحها وبذل كل ما يستطيع من خدمات وإصلاحات حتى شهد التاريخ له وافتخر به واعتز به وما زال التاريخ يشهد بذلك ويؤكد للعالم أن الأمة العربية والإسلامية لا تتهاون في حق لها مهما طال عليها الزمن.[2] كما يشهد التاريخ بأن صلاح الدين لم ييأس يوما رغم تهديدات الصليبيين عند دخوله القدس بأنهم سيهدمون المعبد والقصر المملوكي وحرق الأمتعة والنفائس والأموال الموجودة في خزائن المدينة، وقالوا سنهدم الصخرة المقدسة وجامع عمر بن الخطاب، وقالوا إننا سنقتل الأسرى في سجونهم ولكن هو صلاح الدين مهما قالوا ومهما فعلوا هو البطل الشجاع الذي لا يسعي إلي منصب أو إمارة، بل كل هدفه إعلاء راية الإسلام، واستعادة الأراضي المقدسة العربية والإسلامية، وإن مات صلاح الدين بجسده فستبقي روحه تحدثنا ونحدثها ونسألها لنتعلم منها الشجاعة والبطولة والحرص علي الأمة وأبنائها وكل ما نستطيع أن نتعلمه من صلاح الدين في القدس وخارجها، فرحم الله صلاح الدين بقدر ما فعله لأمته ورحم الله صلاح الدين الذي أنجب للأمة أبناء أعطوا لأمتهم كما أعطي.[3]

فإننا لن ننسي فضل ما فعله أبناؤه وإخوانه في فلسطين، فالتاريخ يذكر بكل فخر ما فعله ابنه الملقب بالملك الأفضل والمعروف بأبي الحسن نور الدين كما أننا لا ننسي ما فعله ابنه عثمان الملقب بأبي الفتح عماد الدين وغازي الملقب بالملك الظاهر وأخيه العادل.

١- القدس بين الدين والتاريخ ص ١٣٣

٢- القدس بين الدين والتاريخ ص ١٣٩،١٣٨

٣- هدية منبر الإسلام ص ٩ ربيع الأول ١٤١٧هـ

فقد اهتموا بالمدارس، وأقام الملك الأفضل بن صلاح الدين المدرسة الأفضلية واهتم بالمسجد العمري واهتم بكل الخدمات لأهلها، ومهد الطرق، وقام برعاية المسجد الأقصى وأقام المستشفيات وتميز عهده بالحب والولاء والعطاء والحرص على الأمة ودينها وأرضها، أما الملك عيس بن أخيه الملك العادل فقد أحب المدينة وعمرها وتولي بعده أخوه الكامل فأهمل المدينة وضعفت أمام الصليبيين فاستولوا عليها فحزن المسلمون والمؤمنون وذهبوا إلي خيمته وآذنوا علي بابها احتجاجا علي ما فعله الصليبيون، ويذكر التاريخ أن سبب هذا الضعف اختلاف أحفاد صلاح الدين في الولاية، وما جني أحد ثمرة هذا الاختلاف إلا أعداء الأمة فما زالوا يجنون ثماره إلي اليوم بعد أن وصلت جيوش الفرنجة إلي شواطئ فلسطين ٥٤٧هـ-١٢٤٩م وساعدهم في ذلك الحملة الصليبية بقيادة لويس التاسع الذي طلب من الملك الصالح ابن الملك الكامل تسليم القدس، فرفض وقاتله وتوفي أثناء القتال وتولي بعده ابنه توران شاه الذي قتل علي يد المماليك الذين استولوا علي المدينة عام ٦٤٨هـ-١٢٥٠م وبهذا تم القضاء علي الدولة الأيوبية في مصر والشام ودمر أعداء الأمة كل ما أقيم فيها من حضارات وخدمات، فهم دوما لا يبنون ولكنهم يهدمون.[1]

١- القدس بين الدين والتاريخ ص ١٤٤،١٤٣

أينما نقلب في صفحات التاريخ نجد أن اليهود يتطلعون ويطمعون ويسعون في القضاء على القوة الإسلامية، وليس هناك أدل مما قاله (اللورد نوثكليف) عام ١٩٢٢ عندما زار فلسطين قال "إننا نستطيع أن نجعل من هذا البلد ايرلندا ثانية" ولقد تجددت كل الأفعال السيئة التي حدثت في أيرلندا من قبل على أرض فلسطين.[١]

ومن هنا يتضح للصغير والكبير ما يدور بداخل هؤلاء الأنذال وما يحملون به في الأرض المقدسة كما أنهم يسعون إلى فكرة إحياء الوطن القومي على أرض الميعاد والتي يحلمون بها من النيل إلى الفرات، كما أن المعاهدة الإنجليزية بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩٢١ بمد خط حديدي بين منطقتي الانتداب الفرنسية والبريطانية بناء على ما كان الهدف منه تحقيق وعد بلفور الذي شارك في صياغته (المستر هامايس والمستر سايد بوتام) اللذان شرعا في الإعداد له عام ١٩١٤م وكل هذه الأحلام السوداء والمعاهدات لم تحدد الحدود الجغرافية بشكل واقعي وبشرعية عادلة للفلسطينيين حتى اليوم، كما أن مؤتمر (سان ريمو) عام ١٩٢٠ الذي جاء فيه ضرورة إنشاء وطن قومي على أرض القدس، وذلك بالتزام الانتداب بذلك، وقد جاء في المؤتمر أن الإمبراطور (طايطس) الروماني حاول الرد عليهم وصدهم، مما أدي إلى تكماش هذه الفكرة ثم عادت للواقع وذلك بمساندة بريطانية بغرض الحماية على المستعمرات الإسرائيلية، وشراء الأراضي الفلسطينية من أصحابها تحت الضغط والتعذيب الذي لا يحتمل.

١- المحتل إليكم الحقيقة ص ٢٩

كما أنهم كانوا يرفعون شعار إعادة بناء هيكل سليمان، وهم يعرفون أن الهيكل دمر وليس له أي أثر أو وجود ولكنهم يتخذون هذا شعارا لهم لغرس روح الانتماء والولاء بينهم من أجل تنفيذ أحلامهم السوداء على أرض فلسطين.[1]

ومهما يخططوا ويدبروا، ومهما ينفذوا فكل ذلك لن يعترف به التاريخ، بل يدوي صوته في كل مكان عندما يصرخ لكل العصور بأن القدس عربية وإن كانوا يجدون اليوم من يأخذ بأيديهم من أجل إغراء آلاف اليهود للعيش في مستعمراتهم الصهيونية.

وهم ما زالوا يعترفون على أنفسهم بحق العرب في القدس، وليس أدل مما كتبه البروفيسور (هوكنج) في كتابه "القيم روح السياسة العالمية" لقد اتصلت بلاد العرب حديثا بالبحر الأبيض عن طريق فلسطين، وبهذا يصبح تقدم الاستعمار الصهيوني أكثر نجاحا في تحطيم القوى العربية.[2]

ويذكر لورنس أن العراق ذات مساحة كبيرة يمكن التوسع فيها والاستفادة منها خصوصا الشريط الخصب الواصل إلى فلسطين.

كما أن بريطانيا تساند الصهاينة بهدف العودة إلى أرض الميعاد كما يقولون بعد أن طردهم الرومان ودمروا هيكل سليمان عام ٧٠ق.م، ولكنهم طردوا من أرض فلسطين في عهد الرومان، فأين كانت قوتهم التي يدعونها اليوم والتي لم يستطيعوا أن يدافعوا بها عن أطفال إسرائيل الذين تبعثروا في بلدان الحضارة الهيلينية طولا وعرضا في فارس وبابل ومصر وقبرص وجزر اليونان وغيرها، أنهم لم يكن لهم أي حق فيها ولم يستقروا فيها.

١- فلسطين إثبم الحقيقة ص٢٨٣، ٢٣٩

٢- فلسطين إثبم الحقيقة ص ٥٨

كما ذكر المستر (نورمان نبتوتيش) فلم يكن لهم علي صفحة من صفحات التاريخ أي شهادة أو اعتراف لهم بأي حق في فلسطين ولو كان قليلا وانهم كانوا دوما مضطهدين في غرب او شرق أوربا وكثير من دول العالم، كما ذكر (تيودور هرتزل) الذي طمع في إقامة هذا الوطن القومي في بلاد الكونغو أي أنه كان من الممكن أن يقام في أي مكان بدلا من القدس، وهذا دليل علي عدم وجود أي انتماء أو ارتباط بأرض فلسطين كما أن هذا دليل علي أنهم لم يبنوا بناء يعودون إليه يوما من الأيام.[1]

وقد ظهرت فكرة إقامة الوطن القومي لأول مرة عام ١٨٩٦م عندما عرض هذه الفكرة (هرتزل) علي شياطين اليهود وجعل نفسه المسئول عن تنفيذها، كما أنه تظاهر بأن اليهود سيعيشون مع العرب جنبا إلي جنب في أمن وسلام وقد ساعده في هذه الفكرة السير (هربرت) المندوب السامي البريطاني بفلسطين قائلا: إن هذه الفكرة جميلة وأنه يسعد بالحديث في هذا الموضوع، وأن كل يهودي في العالم يسعد مثلي عندما يري هذا الخيال واقعا.[2]

كما أنهم يتمسكون بما جاء في سفر يوشع ص ١-٥ ((بأن الرب وعدهم أن يعطي العب الأرض التي تفيض لبنا وعسلا)) هذا كل ما يتمسكون به فكيف يعطيهم الله شيئا أو يعدهم به بعد أن خالفوا سيدنا موسى ورفضوا الخروج معه، فحرم عليهم دخولها وكان عقابهم أن ظلوا في صحراء (التيه) أربعين عاما مشردين، وكيف يعدهم الله بهذه الأرض بعد أن بدلوا وحرفوا رسالة نبيهم (التوراة) وخالفوا كل ما فيها وكيف يعدهم الله بشيء بعد أن اتهموا سيدنا موسى في التوراة المحرفة بأنه خاتن وعاص للرب.[3]

١- فلسطين قبل الحقيقة ص ٨٢، ٧٥، ٢٧

٢- فلسطين قبل الحقيقة ص ١٧٣، ٨١

٣- سفر العدد ٣٢، ١٤، ١٣، ١

كما يذكر أن يوشع بن نون أكمل السير بعد وفاة سيدنا موسى إلا أن يوشع بن نون حاول دخول القدس لكنه لم يقوي علي ذلك فبقيت كنعانية حتى عهد القضاء سنة ١٢٥ق.م الذي ظل فيه الكنعانيون بكل تاريخهم وحضارتهم يعيشون علي أرض فلسطين كما يذكر أن الهيكل الذي بناه سليمان قد تأثر بالأشكال المعمارية للحضارة الكنعانية، وهذا دليل علي قوة سيطرتها علي فلسطين وما حولها وارتفاع شأنها.[1]

هذا جانب من أحلامهم السوداء علي صفحات التاريخ قديما، أما لو قلبنا صفحات أخري لوجدنا أن الصهاينة في عهد الدولة العثمانية عام ١٩١٤م عقدوا مؤتمرا في مدينة (بال) بعد وفاة (هيرتزل) وذلك بهدف التعاون وتنظيم الحركة الصهيونية فما كان من العثمانيين إلا أن لجأوا إلي البريطانيين يستنجدون من اليهود بالهود فكل ما فطه البريطانيون أنهم ساعدوا اليهود في شراء الأراضي الفلسطينية وطرد أهلها حتى غضب عليهم العثمانيون وقاموا بالإحاطة بالسلطان عبد الحميد، والتي بدأت بعدها حركة الاتحاد والترقي مما أدي إلي وصول بعض اليهود إلي المناصب المهمة في فلسطين والسيطرة عليها مما سهل تقسيمها إداريا، وإضعاف قوتها وروح الانتماء وزرع اليأس والإحباط في نفوس شبابها، لكنهم لن يستطيعوا أن ينسوا الأمة قضيتها وجرحها برغم كل ما فطوا قبل وكل ما يفطون بالقدس، وبرغم كل الشياطين الذين يساعدونهم علي ذلك خصوصا أن بعض دول الغرب تساعدهم وتمد لهم يد المعونات العسكرية والمالية لإقامة المستعمرات اليهودية علي الأراضي العربية، كما أن بعض الدول قد وعدت الإسرائيليين بنقل سفاراتهم إلي القدس، وهذا مساعدة منهم لها بالاعتراف بهذا الواقع الأليم.

١- القدس بين الدين والتاريخ ص ٥٥

كما أن إسرائيل تسعي إلي جعل مدينة القدس العاصمة الكبرى لها حتى أنهم جعلوا فكرة إقامة الوطن اليهودي القومي من النيل إلي الفرات شعارا لهم، وقد كتبوا ذلك علي باب الكنيست الإسرائيلي ليذكرها كل داخل وخارج كل عدو وكل حبيب ويبذل كل ما يستطيع من جهد ووقت من أجل تحقيق ذلك الهدف، كما أن كل مواطن إسرائيلي يجعل نفسه مسئولا عن تنفيذ هذه الفكرة السوداء، ولكن لهم أن يحلموا كما يريدون فالتاريخ خير شاهد علي أنهم لم يعيشوا علي هذه الأرض من قبل ولم تكن لهم أي حضارة تشهد لهم بما يدعونه، ولكن علينا نحن العرب أن نعرف أنه لا قيمة لنا مادمنا علي خلاف، ولا قيمة لنا علي هذا الوضع، ولن يخاف عدونا ويرد إلينا حقنا إلا باتباع منهج الله ورسوله ووحدة الصف العربي كما يأمرنا ديننا الإسلامي، فلقد بني وأسس سيدنا محمد الدولة الإسلامية دون أي اقتصاد تعتمد عليه أو عصبية تدعم هذه الأمة ولكن قامت وقويت وسادت وبقيت إلي الآن وذلك لأن كل فرد فيها عرف ما له وما عليه، وأدي حق الله، وحق جاره وحق نفسه فأعطاهم الله كل ما كانوا يسعون إليه، ونصر بهم وفتح لهم، وارتفعت بهم رايات الإسلام في كل مكان في مشارق الأرض ومغاربها.

فإن كان لنا عز اليوم فيما ورثناه عنهم، وإذا أردنا أن نكون مثلهم فعلينا أن نفعل كل ما كانوا يفعلونه حتى نفوز برضا الله في الدنيا والآخرة.[1]

١- القدس بين الدين والتاريخ ص ١٧٢

وعد بلفور

إن كان اليهود قد حققوا كل ما يريدونه من وعد بلفور، بإقامة الوطن القومي على أرض فلسطين فإننا قد وعدنا الله خيرا منهم، بأن جعل لنا هذه الأرض بعد أن أفسد فيها الإسرائيليون، كما جاء في سور القرآن الكريم (سورة الإسراء) قال تعالى ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ولو أننا قرأنا الآيات التالية لوجدنا أن الله ذكر بعد هذه الآية ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾[1] وهذا الدليل على أنهم أهل فساد ودمار، وأن الله قد غضب عليهم، كما أن الله تبارك وتعالى وعد امتنا بهذه الأرض، وبدخول المسجد، وأن الله تبارك وتعالى قد وعدنا بمدد من عنده، كما جاء فيما بين الآيتين فقال تعالى ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[2] فهذا وعد الله وليس بعده من وعد. أما وعد بلفور الذي وعدهم به وزير خارجية بريطانيا عام ١٩١٧م وهو (أرنولد جيمس بلفور) وهذا الوعد لا يتعدى سبعا وستين كلمة، وقد أعد لهم أربعون صانعا، وقد صدر هذا الوعد في الثاني من تشرين ١٩١٧م وقد بعث به بلفور إلى اللورد ريتشلد في صورة رسالة وهذا نصها:

نص وعد بلفور: من دواعي غبطتي الجمة أن أنقل إليكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة بالتصريح التالي ((بطلنا على الآمال الصهيونية واليهودية الذي عرض على الوزارة فوافقت عليه، إن حكومة صاحب الجلالة لتنظر بعين العطف على إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي.

١- سورة الإسراء ٧

٢- سورة الإسراء ٦

وستبذل أقصى ما في وسعها من مساع لتذليل وإحراز هذه الغاية مع العلم تماما بأنه لن يفعل شيء من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين، أي الحقوق الأهلية والسياسية التي يتمتع بها اليهودي في أي بلد آخر، وأكون مدينا لكم بالجميل إذا تكرمتم بإبلاغ هذا التصريح إلي عامة الاتحاد الصهيوني)).

صديقكم المخلص" أرثر جيمس بلفور"[1]

كما صدر في الثامن عشر من تموز من عام ١٩١٧م بين بلفور، وهذا نصه ((إن حكومة صاحب الجلالة بصدد دراسة أهداف المنظمة الصهيونية تقبل مبدئيا الاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي، وبحق الشعب اليهودي في أن يبني حياته القومية في فلسطين تحت حماية توضع أسسها غداة إبرام الصلح في أثر الخروج من هذه الحرب، كما ترى الحكومة أنه من الضروري لتحقيق هذا المبدأ منح الاستقلال الداخلي الذاتي للقومية اليهودية في فلسطين، وحرية الهجرة لليهود إليها، وإنشاء شركة يهودية وطنية لبناء المستوطنات والمستعمرات اليهودية، والعمل على إنمائها اقتصاديا))

أما شروط الاستقلال الداخلي وصك الامتياز للشركة اليهودية الوطنية المستعمرة، فينبغي في رأي حكومة صاحب الجلالة أن تبوب بالتفصيل، وأن تعين بالاشتراك مع ممثلي المنظمة اليهودية كما يجب أن يلاحظ أن هذا هو البيان الذي أراد المستر (لويد جورج) واللورد (بلفور) أن يعيدا صياغته لو لم يحدث في ذلك الحين شيء جديد، كما كان في نية الحكومة البريطانية أن تعترف بأن جميع الأراضي الفلسطينية لليهود وحدهم دون العرب.

١- فلسطين اليوم الحقيقة ص ٢٦٩